الوجه الثّاني

للأفكار و المشاعر

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com

الوجه الثاني للأفكار و المشاعر

د. أو كفيل عبد الحكيم

*

الطبعة الأولى (2023).
*

جميع الحقوق محفوظة لا يسـمح بإعادة إصـدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

الوجه الثّاني

للأفكار و المشاعر

و إن كان جلّ ما اعتقدناه و أحسسنا به غير كامل؟

أوكفيل عبد الحكيم

الطبعة الأولى
2023 م

مقدّمة

منذ وجودنا على هاته البسيطة و نحن نتعلّم، نكتسب، نقاوم، نبدع لنبقى و نستمرّ، نواجه تحدّيات الحاضر بما منحتنا إيّاه إمكانيّاتنا و قدراتنا الجسديّة، العقليّة و النّفسيّة، تجربتنا في الحياة، و تجارب الآخرين أيضا و ما واجهوه علّها تكون نبراسا نستعين به لشقّ طريقنا نحو المستقبل، هاته المعارف، المعلومات المكتسبة، نبني عليها دوما بالزّيادة و التّصحيح لتوسيع إدراكنا بمن و بما حولنا، شرط أن تكون هاته "المُدخلات" صحيحة تفي غرض الإقبال على المجهول بسلاح يؤمّن البقاء و التّأقلم.

لكن لو كانت هاته المعلومات ناقصة غير كاملة و نحن الذين حسبناها تامّة؟ ماذا لو كانت، و رغم كلّ الجهود و المحاولات لإخراجها في صورتها الحاليّة أكثر من ذلك؟ ماذا لو كانت مغلوطة عن قصد أو غير قصد؟

تخيّل لو أنّ أهمّ الأفكار و المعتقدات، أكثر الأحاسيس التي نشعر بها، جلّ ما هو مفترض أن يكون بديهيّا نعيشه بشكل طبيعيّ هو في الحقيقة غير ما اعتقدناه وما أحسسنا به، مجرّد اعتقاد استهلك زمنا و جهدا كبيرين جرّ معه الكثيرين إلى غير ما أرادوه

في الواقع رغم إحساسهم أنّ ما وصلوا إيـه مـن إنجـازات وأهـداف كانت نتاج تلك المفاهيم، ركبوا موجة ظنّوا أنّها ستوصـلهم إلـى بـرّ الأمان و إذا بها ترميهم في عرض البحر لتتقاذفهـا أمـواج الظـنّ و التّساؤل من جديد، لأنّ ما وصل إليه الإنسان ليس الحقيقة الكاملة، الحقيقة المرجوّة، بل هـي وجهـة نظـر أخـرى تبنّتهـا تلـك العقـول، رؤية قيل عنها نافذة، فكرة جديدة أو مختلفة لا غير، لكـن أن تكـون بالفعل هي الحقيقة فـلا، العـادة و التّقليـد، الاطمئنـان لمـا كـان دون محاولة التمرّد على المفاهيم هاته، الاكتفاء بما هو موجود، الخـوف من الخوض في أعماق لا تخـرج المفكّـر فيهـا منهـا، كـلّ هـذا دفـع النّاس لأن يلتزموا ما اتّفـق عليـه الجميـع دون مزيـد مـن البحـث و التّشكيك، رغبة في الاستقرار و الأمان.

اخترنا في هذا الكتب أفكارا و أحاسـيس فـي غايـة الأهميّـة، رأيناها أساس بناء كينونة الإنسان، ظننّاها لغاية اللّحظـة كمـا ظنّهـا الكثيرون، كاملة لا فلسفة فيها و لا تعديل، باتت حتميّـة متوارثـة لا شكّ فيها و لا ظنّ، و الأمر في الواقع بحسبنا غير، إنّها محاولة منّا لكشف الحقيقة التي نراهـا نحـن مغـايرة و مخالفـة لمـا يـراه النّـاس أمرا طبيعيّا لا يحتمل النّقاش، إنّها وجهـات نظـر مدعّمـة بـدلائل و براهين تبيّن و تظهر عكس ما اتُّفق عليه، هذا اجتهاد فـرديّ منّـا و

نتاج مدّة من التّفكير و التأمّل في ماهية هاته المفاهيم و الوجه الآخر الذي يمكن أن يفضي إلى الحقيقة، قلنا يمكن و ليس بالضّرورة يوصل إليها. .

لا نزعم أبدًا أنّ الاجتهاد هذا سيكون القول الفصل فيما ذكرناه، و إنّما هي الحقيقة من وجهة نظرنا نحن، أردنا مشاركتها و إيّاكم، حقيقة فرديّة يمكن أن تكون الفعليّة المطلوبة، و إن لم تكن كذلك فهاته "الحركة" بالتّأكيد هي دافع لغيري أصحاب العقول المنتقدة للتّفكير بطرق أخرى و من وجهات نظر مختلفة لكلّ مفهوم بشكل مختلف غير مقيّد بموروث قبليّ موجّه سلفا، و لربّما الحقيقة المرتجاة تكون خلاصة تفكير غيري من وجهة نظره المختلفة عن وجهة نظري، فكلّ ما في عقل فيه ما فيه و عليه ما عليه من صحّة أو خطأ، المهمّ أنّ قبل الجزم بكون المفهوم أو الشّعور هو كذلك بكلّ ما يحمله من مدلول و أثر وقت ذكره أو ممارسته علينا حصره من كلّ نواحيه و ضبط حقيقته الفعليّة غير المتأثّرة بأهواء النّفس و خيالاتها حتّى يكون المطلوب في ذاك المقام خارج نطاق التّقليد الأعمى لتفكير من سبق.

فعل التّصديق دون غربلة بتأثير الوراثة دون تمحيص يولّد تواتر المفاهيم و المشاعر الخاطئة ثمّ تبنّيها، و منه سوء تقدير الحياة و ما فيها، أو ربّما سوء اختيار الشّخص أو العمل أو المشروع أو أيّ نشاط نقوم به، أخطر ما يمكن أن يكون وهمٌ ربت على العقول و صدّقته الاعتقادات، يمكن لهذا الاجتهاد أن يوصل للحقيقة الفعليّة لجملة من الأفكار و الأحاسيس، و يمكن أن يكون دافعا لاجتهادات أخرى كما أسلفت، لكن ما هو متّفق عليه في كلّ زمان و مكان، هو أنّ العقل الواحد قاصر غير كامل، فإن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي و الشّيطان.

أفكار بمثابة حتميّات عقليّة

و قد أخذنا من بعضنا و ممّن سبقونا أفكارا دون نقد و تمحيص، دون غربلة و تصفية، باتت لا تمسّ و لا تراجع، و إنّما اتّباعها دين و شريعة، غير أنّها في الغالب تخفي الحقيقة خلف ستار يكشفه وجهها الثّاني تلذي لم نره، و إنّما اعتدنا صورتها الأولى و فهمها السّابق الذي توارثناه فلم نعمل عقولنا فيها أكثر لنجدها مختلفة عمّا اعتقدناه جميعا.

الحياة و الموت، متضادّان فعلا؟

و هذه الفكرة بالذّات، كون الحياة في معناها و تمظهراتها مضادّة تماما للموت لعدم إمكانيّة تكاملهما و تواصلهما نراها مغلوطة، خاطئة، حاملة معها معان و مدلولات لا توحي بحقيقة العلاقة الوطيدة الكامنة بينهما.

ما هي الحياة؟ و ما هو الموت؟ و ماهي الأمور التي تجعل العامّة منّا يقرّ يقينا أنّ الحياة عكس الموت؟

الحياة في نظري هي فترة زمنيّة محدّدة لكلّ إنسان، يعيش فيها ما شاء الله أن يعيش، يحيا ليحقّق أماله وأحلامه، طموحاته، مشاريعه، لكن كذلك لترك أثر قبل الرّحيل منها، أثر يترك ذكراه ماثلة بعد زوال حضوره الجسديّ في الدّنيا، هذا الزّوال الحتميّ الذي لا هروب منه، الموت.

هي مهلة يحقّق فيها الأهمّ من الكسب و البقاء، هي بوّابة العبور إلى ما دام و بقيّ، إنّها المفتاح لحياة أخرى، حياة نعيم أو شقاء وهذا هو المفهوم و المعروف عند المؤمنين المسلمين.

لطالما كانت الحياة المبتغى و الهدف، لزال الكثير من النّاس يطمعون في الحياة الأبديّة، الباقيّة، ممّن لم يدركوا حقيقة أنّ بقاء

الإنسان على قيد الحياة أبد الآبدين هو العذاب نفسه، و أنّ الموت الذي ينقل العبد من حال إلى حال هو مفتاح الانعتاق من سجن ضيّق إلى فسحة واسعة، إذا أحسن الحيّ استغلال وقته في دنياه بالطّبع.

ما يهمّنا فعلا هو ارتباط الحياة بالموت و تلازمهما الدّائم و الحتميّ، بل أكثر من ذلك، حتّى تكون الحياة حياةً كما نأمل على الموت أن يكون حاضرا و على الدّوام بذكر الأولى، كيف؟ و لماذا؟

الموت كما يعرفه الجميع (و دون الدّخول في تعريفات أكثر عمقا و فلسفيّة) هو ترك الحياة و الانقطاع عنها إلى حياة أخرى، بوّابة إلى عالم آخر مغاير لعالمنا، فيه ما فيه من مراحل و حالات، طريق وجب المرور عليه للوصول إلى آخر محطّة، جنّة أو نار، " فلا أحد يستطيع أن يعطي الخلود لنفسه أو لغيره ... إنّ كلّ ما توصّلت إليه الدّنيا من ارتقاءات حضاريّة و علوم و تكنولوجيا

تقف عاجزة أمام الموت ... و إن كانت هناك أسباب ظاهريّة يتحدّث عنها النّاس ... فإنّ الحقيقة التي لا جدال فيها هي أنّ الإنسان يموت لا لشيئ إلاّ لأنّ اجله قد انتهى".

ما سبق من قول أمر معروف، لكن كيف للحياة التي نعيشها أن تكون أحلى و أجمل بذكر ما يضادّها و ربطه معها ربطًا دائما مستمرّا؟ كيف للموت الذي يمثّل انتهاء كلّ ما نملك و نحوز، كلّ ما نشتهي و نحبّ أن يكون سبب سعادتنا و فرحتنا في هاته الحياة؟

الأمر برمّته يتلخّص بحسب ما رأيناه في نقطتين، الأولى قبل الموت مع حضور ذكر هذا الأخير مصاحبا للحياة، فإنّ ذكر الموت و تذكّر ما يسبّب الانقطاع عن كلّ ما ارتبطت به النّفس و ألفت يجعلنا نستسيغ حتّى بسائط المكتسبات في هاته الحياة، يجعلنا نقدّر حقّ التّقدير كلّ حركة و نشاط، كلّ إنجاز و عمل، كلّ معاملة، و كلّ إنسان، يدفعنا ذكر الموت دفعا لاحترام الوقت و عدم تضييعه في سفاسف الأمور، فالعمر في نهاية المطاف هو "فترة زمنيّة"، هو "وقت"، وجب استغلاله بلحظاته و ثوانيه، حينها ندرك تماما ما هو الأهمّ لنا و لغيرنا فنرتّب حياتنا بحسب الأولويّات التي تمكّننا من النّجاح، و لأنّ الموت يكون فجأة دون سابق إنذار، فإنّ هذا الأمر فيه يعزّر في النّفس قيمة الحياة، و أنّها ليست باليد و إنّما يمكن أن نفقدها في أيّ لحظة، فوجب على كلّ

واحد فينا اقتناص هذا الوقت الذي بات أغلى من كلّ ثروة يمكن أن يجمعها إنسان.

الموت يرفع قدر الحياة و قيمتها في أنفسنا، بلهو دافع آخر لنعيشهادون تضييع فرصها و أوقاتها هكذا هباءً منثورا.

النّقطة الثّانية متعلّقة بما يلي "بوّابة الموت"، و هذا الذي يرعب و يخيف السّامعين غير العارفين بحقيقة الأمر، نحن ندرك تماما أنّ الحياة التي نعيشها محدّدة بوقت معيّن، و لا أحد في هاته الدّنيا خالد فيها، نحن البشر نفهم معنى الخلود لكنّنا لم نعشه بعد، و لن نعيشه في هاته الحياة حتّى نتركها، معنى ذلك أنّ الموت هو ناقلنا إلى ما هو أدوم، أبقى، إلى ما حلمنا به و تقنا له، "الحياة الأبديّة" الخالية من الآلام و المعاناة، حياة لا أمراض فيها و لا أسقام، فيها تتحقّق الأماني و الأحلام متى شئنا و أردنا، لا مكان فيها للمشاكل و الارتباطات التي تحدّ الحريّة، و إنّما هي تحقيق أكيد لكلّ ما تخيّلناه، بالطّبع شريطة أن يجتهد العبد و يتّبع الطّريقة المثلى لعبادة ربّه و تقواه كما أمرنا، و نحن المؤمنون المسلمون بإذن الله فائزون لأنّنا سائرون في طريق الحقّ، و ديننا، الإسلام دين حقّ، فلا مجال لأنّ يكون الحقّ غير الحقّ و لا الصّحيح غير الصّحيح، لكن هذا موضوع آخر، و الكلام فيه ذو شجون لا نتعمّق

فيه، غير أنّ ما ينتظرنا من فضائل و مكارم، من جوائز و نعم لا يمكن للإنسان تخيّلها، والجميل أنّها لا تنتهي بل تزيد، و لا تفنى بل هي باقية أبد الآبدين فلا نهاية في ذاك العالم و ذاك هو النّعيم الخالد الذي نبقى فيه متمتّعين.

إذا قارنّا هاته الدّنيا الفانية التي لن تبقى و ستزول مهما طال الزّمن، و بما ينتظرنا من نعم و فضائل بعد تجاوز بوّابة الموت و الحساب مع استيفاء الشّروط التي سبق و ذكرناها، فسيكون واضحا للعقول الواعية أنّ الموت ماهو إلاّ مرحلة انتقاليّة من النّقص إلى الكمال، و من العذاب إلى الرّاحة – كون الحياة دار مشاقّ-، و أمّا الرّهبة من الموت فنراها متجلّية خصوصا في نفوس من لم يحضّروا لما سيأتي بعد ترك الحياة، فهم في تردّد و عدم اطمئنان، مذبذبين غير متأكّدين ممّا قدّموا، و في قرارة أنفسهم، هم خائفون ممّا سيأتي بعد الموت و ليس لحظته، لأنّ لحظة الانتقال من الحياة إلى الموت سريعة مهما طالت، و ما يبقى سوى العمل المقدّم يحاسب عليه صاحبه ليكون عنوان مثواه الأخير الدّائم، و لا يمنع ذلك من شعور الواثق من نفسه بنوع من الخوف من هذا الموت الذي لم يجرّبه في حياته و الذي سيمنعه عن كلّ من أحبّ و ما أراد في دنياه، فهو أمر جديد عليه كما هو على غيره، و بالرّغم

من معرفة ماهيتـه إلاّ أنّ تجربتـه سـتكون الأولـى بنهايـة العمـر، و كما هو معلوم كلّ مجهول مرهوب.

خلاصة القول أنّ الحياة لن تكون لها قيمة فعليّة إلاّ إذا رافقهـا المـوت كفكـرة و كحقيقـة، يعمـل عمـل المـذكّر بـالفراق فيـدفعنا لاستغلال أوقاتنا أحسن استغلال قبل انقضاء حياة كلّ واحد فينا فـي هاته الدّنيا، كما أنّه الباب الذي سنفتحه جميعا على الحياة الأخـرى، الباقية غير الفانية، و هذا بذاته كفيل بإرجاعنا إلى جادّة الصّواب و عـدم التهـرّب مـن ذكـر المـوت أو تناسـيه، فهـو فـي الـدّنيا مشـجّع لاقتناصـها و الاجتهـاد فيهـا، و فـي الآخـرة مـذكّر بالبقـاء والخلـود المنشود مع شروط النّجاح و الفلاح

التي أدرجناها سريعا فيمـا قبـل و تـرك كـلّ مـا هـو فـان بعـد استغلاله أحسن استغلال.

الدّنيا لمن لم يؤمنوا باللّه، و الآخرة للمؤمنين؟

و تتكرّر الفكرة التي نراها خاطئة و التّي فحواها أنّ الدّنيا ليست بالمهمّة و تركها لغيرنا أولى من استغلالها كما يفعل الغرب اليوم، ثمّ إنّ علينا الانشغال بأخرانا فهي دار القرار و دار البقاء و حسب.

يقول المفكّر مالك بن نبيّ في هذا الصّدد " ليس العالم الإسلاميّ طائفة من الخلق منعزلة عمّا سواها، فهي قادرة على أن تكمل تطوّرها داخل وعاء مغلق، بل إنّه يمثّل في رواية الإنسانيّة دورين يقوم بهما في وقت واحد، دوره ممثّلا، و دوره شاهدا، هذا أُشتراك المزدوج يفرض عليه واجب التّوفيقبين حياته الماديّة و الرّوحيّة و بين مصائر الإنسانيّة، فهو لكي يقوم بدور مؤثّر فعّال في حركة التطوّر العالمي ينبغي أن يعرف العالم، و أن يعرف نفسه، و أن يعرّف الآخرين بنفسه، فيشرع في تقويم قيمه الذّاتية، إلى جانب تقويمه لما تملكه البشريّة من قيم، و الحقّ انّ من العسير الشّروع في عمل كهذا، في عالم لا يخضع لأيّ مقياس – يقصد العالم الغربي الماديّ - » .

إنّها فكرة هدّامة للإرادة تغرس في النّفوس روح الاستسلام وتطفئ فيها شعلة الإبداع و الابتكار، كون الأمر كلّه حتميّة أزليّة تواجدت من قبل و توارثتها الأجيال و تناقلتها على شكل أفكار سكنت بعض النّفوس فألجمتها عن الاجتهاد و النّشاط و الحركة.

صحيح أنّ الدّنيا فانية، و دار القرار هي الأجدى أن تكون الهدف المنشود، لكن ليس معناه أنّ نترك دنيانا لغيرنا فيأخذوها ليبدعوا فيها و يخترعوا، و إذا بهم ينالون كلّ الخير الذي يمكن أن توفّره هاته الحياة لمن طلبها، و نبقى نحن نتفرّج على ما صنعته أيديهم متمسّكين بفكرة خاطئة لا أساس لها من الصحّة.

يقول الإمام محمّد شلتوت "و في سبيل الحجّة العقليّة طلب إليه النّظر و التّفكير في هذا الكون، في أرضه و سمائه، و ما أودع فيه من أسرار – يعني ما أودعه الله في هذا الكون من أسرار و خبايا وجب البحث فيها و دراستها– و بُني عليه من نظام و إحكام، و أفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات، الأمر الذي يحيل في نظر العقل صدور الكون عن نفسه، أو عن قوى متضادّة متعارضة، و يوجب في الوقت نفسه الاعتراف القلبيّ بأنّه لا بدّ لهذا الكون البديع من المتّسق المترابط السّائر بحكم نظام واحد لا يلحقه خلل و لا انتكاس من مصدر خالق مدبّر له، مهيمن عليه،

متصرّف فيه عن طريق العلم الشّامل، و القدرة النّافذة، و الحكمة البالغة، و أنّ هذا الكون سائر بتدبير هذا الخالق إلى الغاية التي حدّدها له بعلمه و حكمته، و عندئذ يفعل به ما يشاء ممّا أرشدت إليه كتبه، و دلّ عليه وحيه لأنبيائه و رسله، من ظواهر انحلاله و فنائه التي كثر الإخبار بها في القرآن ".

نذ متى كان ديننا مانعا إيّانا عن كسب الحياة و ما فيها؟ الحركة و النّشاط و كسب الرّزق غيرمحدّد، فلكلّ مجتهد نصيب، و إنّما الانغماس في الملاذّ و نسيان الهدف الأسمى الذي ذكرناه- الفوز بدار القرار- هو المحرّم، لأنّ الانشغال بالموادّ و الثّروات ينسي الإنسان الهدف الذي خلق من أجله و هو عبادة الله وحده، حتّى في العبادة هاته نحتاج الدّنيا لنعيش فيها و نقدّم هاته الفروض الواجبة علينا وغيرها من الشّعائر، يلزمنا وقت لكلّ ذلك، أين نجد ذاك الوقت؟ إنّها الدّنيا التي يزعم البعض أنّها ليست لنا.

محدّد، فلكلّ مجتهد نصيب، و إنّما الانغماس في الملاذّ و نسيان الهدف الأسمى الذي ذكرناه- الفوز بدار القرار- هو المحرّم، لأنّ الانشغال بالموادّ و الثّروات ينسي الإنسان الهدف الذي خلق من أجله و هو عبادة الله وحده، حتّى في العبادة هاته نحتاج الدّنيا لنعيش فيها و نقدّم هاته الفروض الواجبة علينا وغيرها من

الشّعائر، يلزمنا وقت لكلّ ذلك، أين نجد ذاك الوقت؟ إنّها الدّنيا التي يزعم البعض أنّها ليست لنا.

الإنسان مأمور بالسّعي في الأرض و العمل،الجني، الرّبح، التّطوير والإبداع، فالغاية من الحياة أيضا أن يترك كلّ واحد فينا الأثر الطيّب لمن يليه لتستمرّ الحياة، فهذا يزيد على ما أنجزه ذاك، وأخر يصحّح ما أخطأ فيه ثان، و هكذا تتطوّر الأمم و تزدهر، و بفضل هذا التطوّر يكتشف الإنسان أسرار الدّنيا التي كانت مخفيّة عنه بسبب قلّة الحيلة و محدوديّة الإمكانيّات المتوفّرة آنفا، و مع كلّ قفزة إلى الأمام يدرك الإنسان أمورا كانت بعيدة عن مدار فهمه و استيعابه، و منه التعمّق في إدراك قوّة و عظمة الخالق في كلّ مُكتشَف جديد، هذا يعني أنّ الانغماس في الحياة بهدف معرفتها ثمّ استغلالها أحسن استغلال للصّالح العام و الخاصّ مطلوب، بل من أحاط بها فهما توصّل إلى الغاية التي وُجد من أجلها في هاته الدّنيا، و هي تبجيل الله و عبادته، الخالق الذي لا نظير لقدرته و لا حدود لعلمه، فمتى زاد العلم بعد البحث و الاكتشاف، زاد يقيننا بعظمة الله الذي أعجز بما خلق و أوجد، و عليه فإنّ " تراثنا العربيّ الإسلاميّ يعدّ أغنى تراث في العالم، وهو تراث نعتزّ به و لا يجوز لنا أن نفرّط فيه، و نعني بالتّراث كلّ إنتاج بشري للمسلمين

في شتّى مجالات الأدب أو اللّغة أو الفكر أو الدّين أو العلوم بصفة عامّة أو الفنون المختلفة، و تنبع أهميّة هذا التّراث من أنّه يمثّل الإطار الذي يحدّد للعرب و المسلمين هويّة معيّنة و صيغة متميّزة، و يمثّل الخلفيّة الفكريّة لتصوّراتهم و أفهامهم لكلّ مجالات الحياة، و يعطي لهم الرّكيزة الأساسيّة للإيديولوجيّة الخاصّة التي يتميّزون بها بين الأمم، و كل ذلك مرتكز بطبيعة الحال على أسس إسلاميّة راسخة.

و الاهتمام بهذا التّراث لا يعني مجرّد التغنّي بالأمجاد أو اجترار الذّكريات، و إنّما يعني البحث عن الجذور الحقيقيّة للشّخصيّة العربيّة الإسلاميّة و استعادة الأمّة العربيّة الإسلاميّة للثّقة بنفسها و أمجادها و قدراتها على البناء و التطوّر الحضاري، حتّى تسير بخطى ثابتة على أرض صلبة مستندة على رصيد حضاري ضخم.

و هكذا لا يعني الاهتمام بالتّراث التّقوقع و الانعزال عن التطوّرات العلميّة و الحضاريّة في عالم اليوم، فالتّراث نفسه يعطينا المثل الواضح، فالمسلمون عندما بنوا حضارتهم لم ينعزلوا و إنّما انتفعوا بكلّ ما كان قائما في ذلك الزّمان من علوم و معارف على اختلاف أنواعها، فالتّراث يجدّد نفسه بصفة مستمرّة عن

طريق مواكبته لروح العصر و الاستفادة إلى أقصى حدّ من كلّ الوسائل و الأساليب الحديثة التي تفيد في تنميته و تطويره، و كلّ ذلك بما لا يتعارض مع مقوّماته الأساسيّة"

مطلوب من الإنسان المسلم المؤمن أن يأخذ بيده الدّنيا و يفوز بالآخرة، أن لا يترك الحياة دون أن يصيب منها أو يؤثّر فيها بإنجاز يقدّمه لنفسه و للإنسانيّة، أن يتفوّق و يستغلّ كلّ الظّروف و الإمكانيّات حتّى ينجح و يكسب، يكسب المال، الجاه، العلم، المعرفة، التّكنولوجيا، و غيرها من

مقوّمات العيش الكريم و ما تبع، فهو مطالب بالاجتهاد، بالعطاء و الإنتاج شريطة أن لا تكون هاته الدّنيا بحدّ ذاتها هدفا يرنو إليه، بل مفتاحا لباب الآخرة الذي يعتبر المراد الأسمى : رضا الله و الفوز بالجنّة.

علاقة الدّين و الأخلاق بالحضارة، التقدّم و التمدّن

و قد نرى شباب اليوم يتهافتون وراء المظاهر الخدّاعة للتمدّن الفاحش، فيظنّ الكثير أنّ ناطحات السّحاب التي اخترقت الفضاء، الطّرقات الملتوية المارّة تحت الأرض و العابرة للقارّات، و ما تبع ذلك من صناعات آليّة و إلكترونيّة كالسيّارات الذكيّة و المركبات الفضائيّة، الهواتف و الحواسيب و أجهزة التّلفاز المرتبطة بالشّبكة العالميّة، العملة الرّقميّة و غيرها من الماديّات البحتة التي غزت عقولنا و قلوبنا هي الحضارة الحقيقيّة، و هذا عين الخطأ في نظرنا.

الحضارة هي أسلوب عيش راق مؤسّس على الدّين، الأخلاق السّاميّة والتّعايش السّلمي بين النّاس على اختلاف أصولهم و مشاربهم، هي مجموعة من الفضائل الدّينيّة و الأخلاقيّة موجّهة لما هو خير للإنسانيّة المتوجّهة دوما نحو الأفضل و الأحسن روحا، عقلا و جسدا، هذا الذي نراه معنى شاملا للحضارة و ما تبع هاته العناصر من تطوّر و تقدّم إنّما يكون تحصيل حاصل، ثمار هاته الشّجرة العتيدة، غياب أحد العناصر المذكورة في تعريفنا يغيّب

معناها بعد تضليل مرماها، و نخصّ بالذّكر الدّين، الأخلاق و القيم .

لماذا الدّين، الأخلاق و القيم، شروط أساسيّة لقيام الحضارة؟ لماذا وجب توفّر هاته العناصر الثّلاث بالذّات و قبل كلّ شيئ حتّى تقوم حضارة شعب ما؟

يقول الدّكتور ناصر الدّين ملوحي " و تعتبر النّظريّات أو الفرضيّات العلميّة و النّفسيّة و الاجتماعية، ظلّ أو إفراز فكريّ من العقل الفرديّ أو الجمعيّ، و لا يستقيم الظل إذا كان العود أعوجا، و نلاحظ إفلاس العقل الغربي عموما، و تهافت حضارته على المستوى الدّولي و الإنسانيّ، رغم تقدّمها العسكريّ و التّقنيّ و الصّناعيّ، فهي جعلت القرن العشرين أكثر دمويّة في التّاريخ لاستخدامها السّلاح النّووي لأوّل مرّة، و أشعلت حروبا غربيّة أوروبيّة أمريكيّة أولى و ثانية، دُعيت خطأً حروبًا (عالميّة)، و إنّما هي غريبة المنشأ و التطوّر، و كانت خسارتها تدمير مئات المدن وقتل أكثر من ثمانين مليون شخص وتشويه عشرات الملايين من الأبرياء، بالإضافة إلى تلويث البيئة، و كذلك أبادت الحضارة الأوروبيّة المنحطّة أخلاقيّا وإنسانيًّا عشرات الملايين من الهنود الحمر، و استخربت بلادهم وسرقت خيراتهم و قضت عليهم

بالسّلاح ..." وقد تكلّم عن حضارتهم التي مزجت روحيّات – مخدوعة ـ و ماديّات فما بالك بخالص نزعتهم الماديّة؟

الشّاهد من القول أنّ العلاقات الإنسانيّة المنتجة لا يمكن أن يكون تعامل أفرادها فيما بينهم مبنيّا على الخداع و المكر و الكذب، من المحال أن تقوم حضارة و الأفراد متناحرون مختلفون يتبادلون أنواع الكره و الضّغينة فيما بينهم، و إن كان الأمر كذلك فلا يستقيم أمر حتّى يعوجّ، و لا يقوم مشروع حتّى تتهاوى أركانه و يعود إلى نقطة الصّفر، يتغلّب الطّمع و الجشع على العلاقات ليصير هو الأساس الذي تقوم عليه الفائدة، القوّة التي كانت بفضل اتّحاد عناصر المجتمع تتشتّت أوصالها لتتغلّب الأنانيّة و حبّ الذّات على ما يستوجب من ألفة و تعاون، كسب المال والاغتناء بأيّ طريقة هو الهدف الأسمى، لا رادع و لا مانع إن غاب الدّين و معه الأخلاق و القيم في عمليّة بناء العلاقات الإنسانيّة، فالكاذب يخدع النّاس و السّارق يسرقهم و هلمّ جرّا، كلّ بحسب قدرته و الميدان الذي يكون ناشطا فيه، و ليس محالا أن يستشريَ الفساد و يتطوّر بغياب الرّوادع التي ذكرناها، و يصير الأمر إلى انفلات بعد انفكاك، و تحلّ الفوضى بدل النّظام رغم المحاولات الفاشلة لقوى الحكم لإعادة ما ذهب دون رجعة بعد أن انتشرت هاته المكاره في

النّفس و القلب و العقل فسيطرت، الحضـارة أسلوب عـيش راقٍ لا تتوافق و هـوادم المـروءة، و لا تناسـبها أسـاليب الخـداع و المكـر، لأنّها مدعاة لزوالها بزوال كلّ ما يربط الإنسان بأخيه من مكـارم و محاسن، فلا قيام لها إذا كانت العداوة و ما جرّته معهـا مـن خـوارم أخلاق حاضرة، السّلام و الأمان، شـريعة الـدّين و القـيم الأخلاقيّـة هي التي تجمع الأفراد على كلمة واحدة ليبنوا أساسا واحدا لصـرح حضـارة تـدوم بـدوام تطبيـق الأوامـر الإلهيـة التـي تخـدم مصـلحة العبد، أوّلا، و ثمّ الأخـذ بـالأخلاق التـي تضـبط روابـط الاحتـرام و التّفاهم بين النّاس ليسير كلّ أمركما يجب نحـو الأفضـل فـي رحلـة بناء الحضارة.

وقد يسأل سائل و يقول : ما بال الغرب – ليس تحديـدا لهـم فالكثير من الشّعوب العربيّة الإسلاميّة فقـدت الكثيـر مـن أسسـها و مبادئها القائمة علـى الشّـريعة الإسـلاميّة و الأخـلاق السّـامية- وقـد ذاع صـيت حضـارتهم بمـا يصـنعون و ينتجـون؟ بمـا يبـدعون و يبتكرون؟ و نحن صرنا إلى تخلّف و تقهقر إلاّ بعـض البلـدان التـي تستمدّ قوّتها من قوّتهم و غناها من اتّباع سياساتهم؟

نردّ بقولنا أنّ ما يُرى اليوم من حركـة طاغيـة للتّكنولوجيـا و تطـوّر لا يمكـن نكرانـه لـدى الغـرب إنّمـا هـو تطـوّر علمـيّ و

تكنولـوجيّ مـن أبـرز مظـاهره التمـدّن الـذي نـراه، غيـر أنّـه لـيس بحضـارة، بل إنّ أكثر ما تفتخر به الحضـارة الغربيّـة الآن -بمعنـى الإنجاز الحضاري العام لدى الغرب الجـامع للعلـوم و المعـارف و المعتقدات و الأخلاق عندهم- هو إنجازاتهـا الماديّـة، حتّـى التطـوّر العلميّ و التّكنولوجيّ لدى الغرب موجّه عموما لخدمة المصالح، و استخدام المادّة لأجل تطوير أخرى بهـدف الكسـب مـاديّ، كمـا هـو الشّأن في توفير الإمكانيّات و الوسـائل الجبّـارة لتطـوير الهواتـف، البحث عن مواد جديدة ملائمة لتصنيع أنـواع جديـدة أكثـر تطـوّرا لتناسب الشّغف المتزايد لأجل توفير راحة أكبـر حـين التّواصـل أو استعماله حين البحث و الاسـتعلام، يبـدو لكثيـر منّـا أنّ مـا ابتدعتـه أنامـل الإنسـان لـه أهـداف إنسـانيّة كتسـهيل التّواصـل فـي حالـة الهواتف النقّالة و جعل النّاس أكثر قربـا فيمـا بيـنهم حـال اسـتحالة التّواصل الآني وجها لوجه، و قـس علـى ذلـك فيمـا يخـصّ وسـائل النّقـل و شـبكة الإنترنيـت والتّلفـاز الـذكيّ... إلاّ أنّ تحقّـق الجانـب الإنسـانيّ فيهـا مـرتبط تمامـا بالأربـاح الماديّـة و العوائـد الماليّـة الضّخمة العائدة لشركات التّصنيع و من جيوب مـن أرادوا حيـازة هاته الوسائل لأجل الخدمة، ممّا يؤخّر الجانب المعنوي الإنسـانيّ و يقـدّم الجانـب المـاديّ المـرتبط بالفائـدة، المعنـى أنّـه إذا أردت أن

تتواصل و غيرك عليك أن تدفع، إذا أردت أن تـتعلّم، أن تفكّـر، أن تسـافر، أن تكتشـف، عليـك أن تـدفع، فالتّكنولوجيـا و العلـوم الآن تخدم بنسبة أكبر الجانـب المـاديّ العائـد بالفائـدة أكثـر مـن الجانـب الإنسانيّ بما أنّهـا تجعـل حيـازة هاتـه الوسـائل مشـروطة بالمـال و القدرة على الدّفع، و ليس بالرّغبة في التّواصل، حتّى و إن تـوفّرت الرّغبة فمن المستحيل تحصيلها دون مقابـل مـاديّ، زاد أو ضـؤُل، المهمّ فقط ان تدفع، و هاته العقليّة الماديّة انتشرت وشاعت لتصيب النّفوس و القلـوب و حتّـى العقـول، و بـات الكـلّ فـي خضـمّ جنـون التّكنولوجيا يجري خلف المال لكسب هاته الأخيرة و التمتّع بهـا، لا ننفي ضرورة توفّر الإمكانيّات الماديّة، لكن أن تصـير هـي الأولـى بـل الهـدف الأسـمى فـلا، كـذلك الأمـر ملاحـظ فـي التمـدّن الـذي نعيشه، و هو الأسلوب الحضريّ القابل للتطوّر، بعيدا عـن مظـاهر الخشونة البدويّة، و يتبع ذلك كلّ مـا نـراه مـن تطـوّر تكنولـوجيّ و معرفيّ يخدم هاته المدنيّة و ينمّيهـا، هاتـه المدنيّـة التـي هـي أصـلا برهان الاستعلاء الماديّ على كلّ ما هو معنويّ -دون نفيه-، باتـت اليوم شبه خالية من بصمات الحضـارة الخاصّـة بشـعوبنا العربيّـة، لأنّ الحضارة أيضا تلقي بظلّها على الماديّات إن كانت مؤثّرة، كما كـان العمـران الإسـلاميّ فـي بـلاد المشـرق و المغـرب أيـن تجـد

الزّخارف الإسلاميّة و الرّموز الدّينيّة كالهلال منتشرة في بناء المساجد و البيوت، يمكننا القول بأنّ الهويّة الخاصّة بالشّعوب العربيّة المسلمة كادت تختفي بسبب وحشيّة المدنيّة الغربيّة و غلبتها على المدن العربيّة بالتّأثير و التأثّر، و إنّ ما يعشقه البعض اليوم هو ما يسمّى المدنيّة بالذّات، التقدّم و التطوّر العلميّ و التّكنولوجيّ الماديّ، و يجعل منه الحضارة دون تمييز بين المفهومين، فالفكر العربيّ أصلا و الغربيّ مختلفان غير أنّ الثّاني يجتهد لإذابة الأوّل فيه ليصيرا سواء، في هذا الصّدد يقول الدّكتور أنور الجندي : " و من هنا يبدو عسر اندماج الفكر العربيّ الإسلاميّ في الفكر الغربيّ و استحالة ذلك لاختلاف المقوّمات و المفاهيم، و من هنا كانت محاولة "التّغريب" في إثارة الشّبهات حول هذه المفاهيم كوسيلة للقضاء على المقوّمات الأساسيّة للفكر العربيّ الإسلاميّ و إحلال المفاهيم الغربيّة القائمة على ماديّة الفكر و التي تستمدّ منها مختلف جوانبه السّياسيّة و الاقتصادية و الاجتماعية، كما تقوم نظرات علوم النّفس و الاجتماع و التّربية و الأدب و التّاريخ و اللّغة منبثقة من هذه الماديّة مرتبطة بها" [1].

و ما زاد الأمر قسوة و شدّة هو توفير الغرب لشتّى الوسائل و الإمكانيّات الحديثة لتكريس الماديّة و الثّقافة الغربيّة ذات التوجّه

النّفعيّ الهادف للوصول إلى قلوبنا و عقولنا رغما عنّا فـ " إلى جانب ظاهرة التّبعيّة هذه، التي تطبع علاقة الفكر العربيّ بالفكر الأوروبيّ، و التي تندرج على كلّ حال في جدليّة الصّراع بين الاستعمار و رواسبه ... هناك ظاهرة أخرى جديدة تماما و خطيرة جدّا بدأت ملامحها تنكشف بوضوح منذ الآن، إنّها الغزو الثّقافي على الصّعيد العالمي الذي يسخّر العلم و التّقانة و قواهما الماديّة و المعنويّة، المنظورة و غير المنظورة، و يقوم على البرمجة و التّخطيط الدّقيقين الذّكيّين، مستهدفا العقول و الوجدان و القيم و الأذواق و السّلوك، ذلك أنّه لم يعد يخفى على أحد اليوم أنّ أمريكا و الدّول الأوروبيّة الكبرى تستعدّ للدّخول متنافسة متسابقة في مرحلة جديدة من الغزو الثّقافي للعالم بواسطة البثّ التّلفزي عبر الأقمار الصّناعيّة، إنّ خطورة هذا الغزو الجديد ليست راجعة فقط إلى أنّه سيعمل على تعميم تصوّرات و قيم ثقافيّة معيّنة و أنماط من السّلوك بواسطة الوسائل السّمعيّة البصريّة ... بل مكمن الخطورة هو أنّ عمليّة التّعميم هذه

الثّقافة العربيّة المعاصرة، ص.14

ستكون شاملة كاسحة لا تخضع لأيّ رقابة و تحكّم من طرف الذين سيكونون موضوعا لها، ذلك لأنّه إذا كان في إمكان الحكومات اليوم في العالم الثّالث مراقبة الأفلام و النّشرات المكتوبة أو مصادرتها، فإنّها ستكون عاجزة تماما عن ممارسة أيّة مراقبة على ما سيبثّ غدا عبر الأقمار الصّناعيّة" (1)

السّؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو لماذا مدنيّة الغرب لزالت قائمة بل زاد تطوّرها و ازدهارها رغم أنّ أساسها ماديّ بحت، خال أو يكاد من ملامح دين أو خلق أو قيمة معنويّة؟ كيف لها أن تستمرّ؟ في حين أنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة بكلّ مقوّماتها باتت ضامرة غير مؤثّرة في النّفوس و في المنتوج الفكريّ و الثّقافيّ في ببلداننا التي تعاني فقدان الهويّة؟ وبشكل أوسع في المظهر الفكريّ و الثّقافيّ العام؟

التّفسير الذي انتهينا إليه هو أنّ عالمهم الماديّ : مدنيّتهم، تطوّرهم العلميّ و التّكنولوجيّ الموجّه للكسب و الفائدة تحكمه قواعد و قوانين ألزموا بها أنفسهم و غيرهم حتّى لا يكون في التّعامل تداخل مصالح و خسارة فوائد، فالكلّ كاسب رابح، أوجدوها- هاته القوانين - لأنّ مكان الدّين و القيم و الأخلاق في حياتهم ضيّق غير مؤثّر، و في حالات كثيرة منعدم لا وجود له،

إنّها الوحشيّة الماديّة كما أسلفنا الذّكر، كلّ أمر، نشاط، حركة و مشروع يبنى و يصمّم بحسب خطّة تودي إلى مكاسب و أرباح، وتلك القوانين التي اتّفقوا عليها، تنظّم هاته النّشاطات في مختلف الميادين و المجالات دون اعتبار للأخلاق، القيم و الدّين، يطبّقون فحواها – حتّى و هم مكرهون - لكي لا يحدث خلاف أو صراع، و كذلك الأمر في الأزمنة السّابقة و اللاّحقة، في حين هم أحرار حريّة مطلقة خارج نطاق أعمالهم فتجدهم يقترفون الفواحش و يتعاطون المحظورات بكلّ أريحيّة دون معاقبة أو متابعة، لكن أن لا يدفع الفواتير و الضّرائب فلا، هو يعاقب على تأخيره أو عدم استيفاء ديونه، "إذا كان الإنسان مقهورا في الشّرق فإنّه بائس و مريض في الغرب، و هناك قاسم مشترك لأفكار بعض المفكّرين الغربيّين أنفسهم بأنّ الغرب يتدهور – شبنغلر - الحضارة الغربيّة حضارة

إشكاليّات الفكر العربيّ المعاصر، ص.75

تقنيّة خاسرة – كامللليري – أو حضارة ساقطة – كولن ولسن – وتؤكّد البيانات الإحصائيّة بأنّ ثمانين بالمائة من سكّان الولايات المتّحدة الأمريكيّة هم من المرضى نفسيّا و أنّ الانتحار الفردي قد أصبح من أكثر أسباب الوفاة لدى المراهقين في معظم الدّول الغربيّة، أمّا الانتحار الجماعيّ فهو أكثر أساليب الخلاص تقدّما حسب المفهوم الغربي المريض، و إنّ آل جور – نائب الرّئيس الأمريكيّ يقول في كتابه " الأرض في الميزان" في الصّحة مائتان و أربعة و عشرون " إنّ الشّواهد على الضّياع الرّوحيّ في حضارتنا وفيرة، فالمرض العقليّ في صوره العديدة أصيح منتشرا بشكل وبائيّ و خاصّة بين الأطفال، و الأسباب الرّئيسيّة الثّلاثة للموت بين المراهقين هي الحوادث المرتبطة بتعاطي المخدّرات و الكحوليّات و حوادث الانتحار و جرائم القتل، و هناك أعداد غفيرة من النّاس الذين يشعرون بخواء حياتهم" (1).

هذا ما يعانوه هم، أمّا نحن الذين تأثّرنا بمظاهر التطوّر و المدنيّة- و جعلناها جهلا منّا حضارة – و لم نر سوى الجانب الخادع من الصّورة، ساهم ذلك في إضعاف الجانب الرّوحي العقائديّ الدّينيّ، الأخلاقيّ القيميّ فينا، بسبب ولعنا بما وصل إليه الغرب من تقدّم ماديّ، فأخذنا من هذا الذي وصلوا إليه، و وجدونا

أبدا مولعين فزادوا و صدّروا لنا الماديّات بشتّى أنواعها و ألوانها، و المُتع بمختلف أشكالها و أحجامها، حتّى نصير و إيّاهم سواء و كدنا أن نصير، فقوي الجانب الماديّ فينا و ضعف الجانب الرّوحيّ المعنويّ، تركنا ما بنى حضارتنا و لم نأخذ به و نطوّره بحسب متطلّبات الحياة و عوّضناه بما أتانا من هناك، ثمّ رأينا أنّنا لا نملك في جعبتنا ما نواجه به غول الماديّة الغربيّة و نسينا حضارتنا العظيمة، فأتينا بالماديّات هاته و جنّسناها و ملأنا بها فراغات الحياة في أساليب التّعامل و العمل و الإنجاز و الإبداع، و بتنا مسخا لا إلى هؤلاء ننتمي و لا إلى هؤلاء، و هكذا حدث الخلط في رأينا و باتت الحضارة عندنا مدنيّة و تطوّرا، في الوقت الذي إذا أخذنا بمقاليد الحضارة و أسسها الفعلية لجمعنا الحضارة و المدنيّة مع بعض و لطوّرنا حياتنا من الجانب الرّوحي وثمّ الماديّ أيضا كنتيجة حتميّة لما يوصي به الدّين من اجتهاد و عمل و إتقان، و ما تلزمه الأخلاق و القيم من تعايش و تضامن و تعاون بين أفراد المجتمع، وهذا ما يوصي به الإسلام أيضا.

أزمة العلم المعاصر، ص70

خلاصة القول : أنّه علينا بناء حضارتنا على الأسس الصّحيحة القويمة المذكورة آنفا، الدّين، الأخلاق و القيم، ثم ما يتأتّى بعد ذلك منطقيّا و حتميّا من تطوّر علميّ و تكنولوجيّ و ماديّ يسري سريان الماء في النّهر، لأنّ الاجتهاد و العمل و الكسب و التعلّم و الإبداع و غير ذلك من النّشاطات المنتجة هي من صميم الدّين و تأكيد لرفعة الأخلاق بشرط أن ينضبط الكلّ بضوابط الشّرع و القوانين المدنيّة المستقاة منه، إنّها نتيجة حتميّة لحكم راشد على أسس صالحة قويمة إنسانيّة.

الحـريّة

نتكلّم و حسب عن الحريّة المغلوطة، حريّـة أن تقـوم بكـلّ مـا تريد، بكلّ ما تتخيّل، لا حدود و لا رادع، لا حساب و عقاب، افعـل ما تراه صائبا في الوقت الذي تريده، هـذا هـو مفهـوم الحريّـة عنـد البعض، و التي يناضلون لأن تكون هكـذا أو لا شـيئ، للأسـف هـم مخطئون في رأينا.

الانفلات من كلّ شيئ و الخوض في كلّ ما أوحـت لـه الـنّفس سواء أكان مقبولا أو ممنوعا، و توفير كلّ الإمكانيّات و الوسـائل و الطّاقات لحيازة كلّ ما هوته النّفس مطلقا هـو الـذي يجعـل الإنسـان سجين نفسه، فلا يتذوّق الحريّة الحقيقّة و إنّما يمارس وهمـا يسـمّيه "حريّة."

كيف ذلك؟

حينما يطلق الإنسان العنـان لنزواتـه و خيالاتـه، فإنّـه يتعـدّى الحدود و يخترق المعقول، إنّه يجد الفرصـة لتحقيـق مـا خشـي أن يظهره للعلن، لكـن مـع فـتح الأبـواب لهاتـه الفكـرة المسـمومة فـإنّ الجاهل و الهائم وراء نزواته و شهواته يجد الفرصـة باسـم الحريّـة المطلقة للقيام بمـا ينـدى لـه الجبـين، الممنوعـات المعروفـة و التـي

اتُّفق عليها أنّها هادمة للقيم الإنسانيّة إلا من استحبّ السّوء و الفحشاء (كالحروب بأنواعها، الاغتناء باسم الرّأسماليّة و الملكيّة الفرديّة بكلّ الطّرق و الوسائل اللاّأخلاقيّة، ربا البنوك، الإعلام الفاسد، الحريّة الجنسيّة و الدّعاية للمثليّة، فلسفة ربوبيّة الإنسان و أنّه الوحيد مالك نفسه و قدره يفعل ما يشاء و ما يريد دون اعتراض...) مع تكرار ورودها و تشجيع الأفكار المتحرّرة غير المقيّدة بشرعة و لا دين، و في غياب الرّادع الأخلاقيّ و القانون البشريّ العادل، تصير مع الوقت و العادة مقبولة و عاديّة، و كأنّها سلوكات طبيعيّة في الإنسان وأنّ حدوثها يصنّف ضمن الاختلاف و التّعدّد الثّقافي الذي وجب على الآخرين قبوله كما هو، بل لزم احترامه أيضا، و لا يدرك هؤلاء المساكين أنّ ما يتعاطونه من موبقات و سفالات يبرّرونها بما أمكنهم من أكاذيب علميّة و فلسفيّة، و حتّى تاريخيّة و دينيّة أيضا، تجعلهم يظهرون أكثر بمظهر السّجين المحكوم عليه بالمؤبّد، أبديّة التّبعيّة للأهواء و الرّغبات التي لا تنتهي لكن تتجدّد و تتزايد، فكلّ ما يرمي إليه في الحياة هاته هو إشباع نزواته التي إن حضرت موانعها انطفأت، و لا يزال محصورا داخل دائرة الوهم هاته طول حياته ظانّا منه أنّه يحقّق الحريّة لنفسه حينما يفعل ما يشاء دون اعتراض، و هو في

الحقيقة يلبّي ما تملي عليه نفسه الأمّارة، التوّاقة لتجربة كلّ شيئ، ما كان مسموحا و ممنوعا، مرغوبا و مكروها، فالنّفس في طبيعتها هكذا، إن لم تُلجم انطلقت في فضاء الهوى تنهل منه دون شبع، و العبد يعطيها و يزيد، و هي ترغب في المزيد، فيظلّ خادما لها كالعبد المطيع إلى أن تفنى حياته كلّها و هو شقيّ في شهوات استهلكته، لم يترك شيئا ينتفع به حقيقة و ينفع به الآخرين سوى أنّه أمضى أيّامه في اللّعب و المجون، في جمع المال و تكديسه، في السّفر دون راحة و دون استقرار، و من أين يأتي بالاستقرار و قد وجدت نفسه من يطيعها فتطلب المزيد و هو ينفّذ؟ متى يرتاح و متى يطمئن؟ أبدا لن يجد ذلك ما دام باب الحريّة المطلقة مفتوح أمام نفس جشعة لا تعترف بالمعقول.

الحلّ؟ إلجام هاته النّفس بالضّوابط، بالشّريعة الدّينيّة و القواعد الأخلاقيّة القويمة، حتّى إذا هدأت و خمدت تركت المجال للعقل حتّى يفكّر أخيرا بحريّة، و لو أنّ العقل قاصر إلاّ انّه من تجاربه يتعلّم، دون أن يكون كاملا تعلّم، هي حريّة منتجة مفيدة للنّفس و الغير، فعّالة معطية، تحترم الآخرين، تتلاءم و مقتضيات العصر و الزّمن، توافق الطّبيعة البشريّة، مُشبعةً نهمها المشروع في الإبداع و الابتكار دون ضرر، دون خروج عن المعقول، و

دون تشويه الصّورة الإنسانيّة التي تميّز البشر عن غيرهم من الخلائق، يقول جون ستيوارت ميل " ليس للحريّة أي تطبيق على أيّ حال للأشياء قبل الزّمن الذي تصبح فيه البشريّة قادرة على التطوّر عبر المناقشة الحرّة المتساوية حتّى ذلك الحين، لا شيئ لها سوى الطّاعة الضّمنيّة لـ "أكبر" – و هو لقب أباطرة المغول – أو لشرلمان هذا إذا كانوا محظوظين بما فيه الكفاية ليجدوا واحدا، و لكن ما إن تحصل البشريّة على هذه القدرة على أن تقاد نحو تطوّرها من خلال الإقناع، أو الإقناع – و هي فترة تستغرق طويلا حتى الوصول إليها في جميع الأمم التي تحتاج هنا لأن نهتمّ لشأنها – أمّا الإكراه، بشكله المباشر، أو بشكل الآلام و العقوبات لعدم الالتزام، فلم يعد مسموحا به بوصفه وسيلة لمصلحتهم، و هو غير مبرّر إلاّ من أجل حماية الآخرين و أمنهم" أيّ أنّ حريّة الفرد تتوقّف عند حريّة الآخرين بالمختصر المفيد، يبيّن الدّكتور علي عبد الواحد كافي ذلك أكثر و يوضّحه من خلال منظار الإسلام للحريّة فيقول " اتّخذ الإسلام الحريّة الفرديّة دعامة لجميع ما سنّه للنّاس من عقائد و نظم و تشريع، و توسّع في إقرارها، فلم يقيّد حريّة الفرد إلاّ في الحدود التي يقتضيها الصّالح العام، أو يدعو إليها احترام حريّة الآخرين، و عمد إلى كلّ نظام يتعارض مع هذه

المبادئ فألغاه مرّة واحدة إن كان لا يترتّب على إلغائه مرّة واحدة زلزلة أوالحياة اضطراب في الحياة الاجتماعية، أو ألغاه على مراحل و قيّده بقيود تكفل القضاء عليه بالتّدريج إن كان في إلغائه مرّة واحدة ما يؤدّي إلى هذه النّتائج.

و قد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحريّة في هذه الحدود و بهذه المناهج في مختلف شؤون الحياة، و أخذ به في جميع النّواحي التي تقتضي كرامة الفرد أن يؤخذ به في شؤونها، و هي النّواحي المدنيّة و النّواحي الدّينيّة، و نواحي التّفكير و التّعبير، و نواحي السّياسة و نظم الحكم، و وصل به في كلّ ناحية من هذه النّواحي الأربع إلى شأو رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه و حديثه" [1] .

الحريّة في الإسلام، ص.5

العمل، نشاط إنسانيّ و ليس حتميّة زمانيّة-مكانيّة

ومن الغريب أن نجعل العمل مضبوطا بمكان و زمن معيّنين كمفهوم و فكرة عامّة تنطبق على الكلّ في شتّى الميادين، كثيرا ما نشيد بالعامل الذي يقضي ثمان ساعات عمل متواصل – و هذا هو الشّائع و المنتشر في مجتمعاتنا -ثمّ نقول عنه أنّه إنسان نشيط و منضبط، حتّى و إن تحقّق ذلك فعلا و كان جادّا فنحن نرى خلاف هذا المفهوم للعامل الفعّال، ورغما عنّا، احتلّ هذا المفهوم العقول و ترسّخ على أنّه قاعدة تطبّق على كلّ إنسان، في نظرنا هذا هو عين الخطأ.

ما المقصود من كلامنا؟

نحن نرى أنّ العمل كنشاط ليس حتميّة تفرض على الإنسان في أوقات تحدّد له سواء أكان محتاجا لهذا العمل احتياجا كبيرا أو معقولا، و إنّما ساعات العمل متعلّقة بالحاجة للعامل في تلك اللّحظة أو في موعد معيّن، بدافع المنفعة العامّة الملحّة و التي تحتاج له في ذاك الحين، ليلا أو نهارا - فهناك أعمال تستلزم الإبكار و هناك أخرى لا، بل توجب على العامل أن يكون نشيطا

ليلا - بحسب ما هو متّفق عليه، فمن غير المعقول مثلا أن نحتجز عاملا أو موظّفا في القطاع العام أو الخاصّ ثمان ساعات أو أكثر من أجل عمل يفي ساعتين جهد، فالفعاليّة غير مرتبطة بساعات العمل الطّويلة بل بكيفيّة الإنجاز و طرق تحقيقه - هناك من ينهي عملا في ظرف قصير لكن بفعاليّة و إتقان كبيرين و هناك من يطيل في العمل و لا ينجزه إنجازا تامّا كاملا متقنا كما يرتجى منه- أو أن نلزمه بالبقاء في مقرّ عمله حتّى و إن أنهى مهامه، هذا استنفاد لطاقة الإنسان دون فائدة، و مدعاة لضجره و مللـه، ناهيك عن تضييع وقت كان ليستغلّه و يستفيد منه في نشاطات أخرى، كممارسة الرّياضة أو المطالعة، أو حتّى في عمل آخر يدويّ أو حرفيّ، تجارة أو تقديم خدمات معيّنة، أو لنقل في عمل ثان اختار أن يقضي فيه وقت فراغه يفيد به نفسه و غيره، ربط هذا الإنسان رغما عنه في مقرّ عمله و بزمن محدّد دون الاستفادة منه مبرّرين ذلك باحترام ساعات العمل داخل المؤسّسة – مثلا - من الأمور التي تخالف المنطق كما قلنا بل تخالف طبيعة الإنسان بذاتها، فهو كتلة حيويّة لا تقبل الرّوتين حتّى لو احتمله كرها، هو لا يطيق البقاء في حال واحدة فترة زمنيّة طويلة لأنّ النّفس تملّ و تحتاج إلى تغيير، تجديد، يحتاج فترات فراغ يقضي فيها حاجاته الأخرى

العائليّة و الاجتماعية، ساعات يملؤها بما يريد و يحبّ من نشاطات يجدّد فيها طاقته، كما يروّح بها عن نفسه، فإن أردنا أن يكون الواحد منّا فعلا مجدّا و محبّا لعمله، يبذل فيه الجهد المطلوب بفعاليّة و إتقان، علينا تحريره من قيود وهميّة تكبّل مهاراته و قدراته في مجالات أخرى ربّما برع فيها و أحسن.

حياتنا لا تتلخّص في مجرّد عمل، فنحن لا نعيش من أجله، بل نخصّص أوقاتا له لكي نواجه به نواصب الحياة الماديّة التي أجبرتنا على اعتماد المال كبنزين لا نتحرّك بدونه، غير أنّ البعض يجلّ العمل و يقدّسه غاية التّقديس حتّى أنّه لا يرى جدوى من وجوده إلاّ به، يقدّمه على كلّ أمر في حياته، حتّى أنّه يفضّله على التعبّد و القيام بالواجبات الشّرعيّة، فيهمّش نفسه و عائلته، أقاربه و أصحابه، و يستهلك وقته كلّه في العطاء و البذل أثناء العمل بل و يزيد ساعات و أيّامًا إضافيّة دون توفيرها لأقرب الأقربين و هو فخور بما يفعل، حتّى و إن لم يحتج ذلك العمل نشاطه الزّائد و وقته الذي خصّصه له.

لا ننفي أبدا أهميّة العمل و شرط وجوده حتّى تكتمل صورة الإنسان المسؤول و القادر على مواجهة صعاب الحاضر و المستقبل، و لا ندّعي أنّ الحياة دون عمل تستقيم، بل هو عنصر

حياتيّ واجب حضوره و به يتمّ الكسب، غير أنّ ما نراه صائبا هو أنّنا يجب أن نتكلّم عن النّشاط و الإتقان و الفعاليّة و الإنتاج في الزّمن و المكان المناسبين لتحقيق المنفعة من خلال هذا العمل، فليست كلّ أوقات العمل منتجة، و لن يكون العامل مهما كان فعّالا في الثّمان ساعات التي يُسجن فيها في مكتبه أو متجره أو قسمه أو أيّ مكان عمل، بل هذا مدعاة لاختلاق الأعذار و استعمال الحيلة للتهرّب من العمل و طلب الرّاحة إثر الضّغط المتزايد و الإجبار غير المبرّر على البقاء، و هذا بذاته كاف لأن يؤثّر على نوعيّة الخدمة أو المنتوج المقدّم، من ناحية أنّه لن يكون كاملا و لا دقيقا، فهو وليد التسرّع و عدم الضّبط و الإحكام، ليصير الكلّ خاسرا في هاته المعادلة، ربّ العمل الذي لن يستفيد من العامل و قدرته و كفاءته كما ينبغي، يفقد العامل الشّغف و الاهتمام بالعمل فيصير غير مبال به، و لن ينتفع الزّبون بالخدمة النّاقصة أو السيّئة المقدّمة.،

نرى أن يأخذ كلّ عامل أو موظّف أجرة عمله اللّحظة التي يقدّم فيها عمله، بمقدر جهده و بالطّريقة المتّفق عليها في عقد العمل، و أن لا ينتظر شهرا كاملا ليأخذ مستحقّاته، و هكذا العمليّة تتكرّر، مقابل كلّ خدمة أجر، في الحين و في تلك اللّحظة، ذلك أنّه

خلال الشّهر الذي يعمل فيه لن يقدّم العامل ما لديه بشكل مستمر و بالقدر الذي يجب كلّ أيّامه، و لربّما لن يبذل مجهودا تماما إذا ضمن أنّ الأجرة ستأتيه آخره، فهو قابض لها مستريح، و في عمله حاضر لكن مردوده غائب، و إن كانت هناك طرق لحثّه على الاستقامة في العمل (تشجيعيّة أو تحذيريّة) فلن تكون أفضل من الأمانة و روح المسؤوليّة و الدّافع الدّاخليّ الذي يتمتّع به العامل الأمين الذي يؤنّبه ضميره حال تقصيره، فيبذل جهدا مضاعفا لتحسين و إن كان لابدّ أن يأخذها كلّ شهر، فتنويع أوقات العمل الحقيقيّ بالتّغيير مرّة و بالتّبديل و عمّال آخرين في نفس الميدان و التخصّص مرّة أخرى، أو حتّى بتنويع أماكن العمل إن احتمل الأمر ذلك، فإنّ تبديل الجوّ و سعة المجال تخفّف الضّغط و تبعد الملل، تجدّد النّفس و تحيي الرّغبة كلّما نال التّعب النّفسيّ و البدنيّ من العامل، و كأنّه بذلك يملأ خزّانه – مرّة أخرى مثال الخزّان و البنزين - ببنزين الرّغبة كلّما شارف على الانتهاء، أمّا الكيفيّة و هل يسمح الوقت بتطبيق هاته الأفكار؟ فبمزيد من الدّراسة و العناية، الأمر أوّلا متعلّق بولاّة الأمور، فيما إذا أرادوا للنّشاط الفعّال أن يزيد أو لا، و كلّ أدرى بما في قطاعه و ما يناسبه، لكن إن توفّرت الإرادة و النيّة الصّادقة في التّغيير و تحسين ظروف

العمـل و العـاملين سـتكون هنـاك نتـائج لهاتـه الاقتراحـات إن تـمّ استغلالها و الزّيادة عليها بالمقترحات و التّعديلات بما وجب.

النّجاح و الفشل

من أكثر المفاهيم التي أخطأنا فيها ولا زلنا، بحسب رأينا، هما مفهوميّ النّجاح و الفشل، الوصول إلى الهدف المنشود أو العجز عن ذلك، تحقيق ما وددنا أو عدم التمكّن من تحقيقه، هذان المفهومان متلازمان في حياتنا يتكرّران متى تعلّق الأمر بإنجاز أو عمل، فمصير كلّ حركة او نشاط إمّا إلى نجاح أو فشل.

لن نخوض في ميادين النّجاح و الفشل الحياتيّة، لأنّها أكثر ممّا يمكن سرده في هاته السّطور، بل ما يهمّنا هو نظرتنا نحن لهذا النّجاح المرغوب و الفشل المرهوب.

كثيرا ما نسمع النّاس يتحدّثون عن النّجاح أو الفشل في العمل مثلا، في ربط علاقات اجتماعيّة بالغير، في القيام بتجربة جديدة، في مشروع، في الحبّ، في الخروج من المشاكل و بناء الحياة، غير أنّ هاته الأمور و غيرها ممّا يخوض فيه الإنسان مجتهدا لحيازته ليست لها علاقة بالنّجاح و الفشل بشكل مباشر على الأقلّ، إنّها أهداف مرغوبة، معانٍ ذات قيمة، جوائز يودّ الكلّ الفوز بها كلّ بحسب ما بذل و قدّم، غير أنّ النّجاح و الفشل متعلّقان فقط بالطّريقة التي قد توصل أو لا لكلّ تلك المرغوبات، فإن كان

الأسلوب المتّبع والطّريقة المنتقاة صحيحة، حسنة التّنسيق، واضحة المعالم، متدرّجة المراحل، منظّمة تنظيما يطبّقه الإنسان بمنطقيّة و عقلانيّة فإنّها توصل اليوم أو غدا مع الاجتهاد و الصّبر إلى الغاية المطلوبة، و إن كانت الطّريقة غير ذلك، غير ملائمة أو أنّ مراحلها غير متسلسلة تسلسلا منطقيّا، أو كانت ناقصة من حيث فعاليتها أو فيها أخطاء، تعرقل أو تمنع الوصول إلى الغاية فبطبيعة الحال لن يتمكّن الإنسان من تحقيق مراده، المشكلة في الطّريقة كما قلنا و ليست في الأهداف، و إنّما هاته الأخيرة حاضرة موجودة تنتظر مقتنصيها، و البعض منها تواجد مع مرور الزّمن، تأقلم مع الظّروف و الأحداث، فباتت أفكارا و مشاعر، مطالب جديدة يطمع كلّ واحد فينا الاستحواذ عليها و يمتلكها، و هذا أمر مشروع ما دامت الأهداف هاته موافقة للطبيعة البشريّة خادمة لها جالبة للخير دافعة للشّر، و خصوصا غير مؤثّرة سلبا على روح و عقل مريدها، موافقة لشرعة الدّين – ذات المصدر الإلهي، فالله أعرف بمصلحة الإنسان من نفسه - و ضروريّات الأخلاق و القيم التي تضمن حسن استمرار العلاقات الاجتماعية بين النّاس و ضبط استعمال المواد و الوسائل دون إسراف أو تقتير.

هذا من جهة، و من جهة أخرى، يمكن للفشل أن يكون بحدّ ذاته نجاحا، و النّجاح فشل، فالعبرة كما يقال بالخواتيم، وليس كلّ ما يظهر بصورة أولى يكون في حدّ ذاته حقيقة لا جدال فيها، لكن كيف يمكن أن يكون النّجاح فشلا؟ و الفشل نجاحا أيضا؟

يصير النّجاح فشلا إذا توقّف الإنسان عن العطاء و التّفكير، عن الإبداع و الابتكار، يحسب نفسه قد وصل إلى هدفه فلا يطلب المزيد، يكتفي بما حازه من ألقاب و شهادات، من مكاسب و مغانم، و ليتشبّع داخليا بما كسب، فلا يرى للمستقبل سوى ما حقّقه حاضرا، و لا يفكّر في أنّه بإمكانه أن يقدّم المزيد ليحوز أكثر ممّا حازه، و يفوز بأجلّ مما وصل إليه، تفتر الإرادة و يرمي الكسر بستاره على روحه وعقله، فتنطفئ الشّعلة أو تكاد، ليكمل حياته قانعا بالقليل الذي حقّقه، في حين أنّ كلّ ما في هذا العالم يزيد و يتجدّد، و معه الأهداف تتوالد مع تشعّب الأعمال و الصّناعات، مع تزايد العلاقات الاجتماعيّة و سهولتها، و خصوصا مع التحدّي المتصاعد الذي تشعله النّفوس المطالبة بالمزيد، الرّاغبة في النّجاح، العاملة لأجله مهما كانت المصاعب و أيّا كان مصدرها، فيما تبقى النّفوس الفاترة تنظر في الزّمن والمكان و هما يتغيّران و يتقدّمان من حولها، حاملين لكلّ جديد و مبهر، هي تبقى ثابتة

متـأخّرة راضـية بفتـات قليـل بالكـاد يغطّـي حاجياتهـا الأساسـيّة الرّوحيّـة، العقليّـة و الماديّـة، هـذا هـو الفشـل الحقيقـيّ، الاغتـرار بالنّجاح و السّكون في ذكراه الزّائلة مهما طال الزّمن.

كما يمكن للفشل أن يكون نجاحا، متى أخذ المتعثّـر فـي سـبيل هدفه الخبرة و التّجربة من هفواته و زلاّته، متـى ضـبط نقائصـه و قوّى عجزه، فيتفطّن للفراغات في طريقته التّي حسبها توصـل إلـى هدفه، ليملأها بالأفكـار النيّـرة و يـدعمها بالوسـائل المسـهّلة لبلـوغ المطلوب، فيتمكّن بعد زمن من الظّفر بمـا حلـم بـه، لأنّ الحلـم هـذا بات حقيقة إذا تحقّقت شروط ظهوره من الفكرة إلى الواقع ،

ليصير فشله في مرحلـة مـن مراحـل سـيره فـي درب الحيـاة محطّة لازمة تدفعه إلى الأمام نحو المـراد، و لـولا تلـك العقبـات و الضّربات لما اهتزّت الـنّفس و اقتنعـت بضـرورة المقاومـة و عـدم الاستسـلام إن شـاءت مـا رامـت إليـه، و لـو اسـتمرّت الرّاحـة و الطّمأنينة لما بذل الواحد فينا جهدا أكبر و زمنا أطول لأجل مكسـب ما، السّقوط الذي هو مدعاة للنّهوض بقوّة و إرادة أصلب دافع كبير لتغيير الحال من سيّئ إلـى حسـن فجيّـد، دائمـا مـع تـوفّر الإرادة و الرّغبة، القوّة الرّوحيّة، العقليّة و البدنيّة، بنسـب متفاوتـة و بحسـب المجال الـذي ينشـط فيـه الإنسـان، و لعـلّ الـبعض يـربط النّجـاح و

الفشل، أو بـالأحرى يختـزل الطّريقـة التـي توصـل إلـى النّجـاح أو تودي إلى الفشل بالحظّ، فيقول : هذا نجح بالحظّ فكان له ما شاء، و هـذا فشـل لأنّ الحـظّ خانـه، و لعمـري هـذا عـين الجهـل و مخالفـة لمنطق النّظام السّائد منذ الأزل في هذا الكون، في كلّ مكوّناته إلـى غاية ذرّاته، ذلك أنّ الحظّ الذي لا نصـدّق بـه بـالمفهوم الـذي يـراه البعض، بأنّه حدوث أمر بشكل مفاجئ دون أسباب يؤديّ إلى نتـائج يمكن أن تكون موافقة للمجهود المقدّم أو معاكسة له، لا وجـود لـه، و إن صدّقنا بوجوده فكأنّنا أقررنا بعشـوائيّة كـلّ مـا كـان و يكـون، فنقول أنّ كلّ شيئ بسبب، ربّما تلك الأسباب تبقى مجهولـة لقصـور العقل عن إدراكها غير أنّها وُجدت و أدّت إلى النّجاح أو الفشل فـي النّشاط الذي قدّمه الإنسان للوصول إلى هدفه، يمكن أن يكتشفها مع البحث و التقصّي كما يمكن أن لا يرفع السّتار عنها، لكـن أن نعـزو جهلنا بالأسباب إلى الحظّ الذي هو نقيض النّظـام فـي هـذا العـالم و مرادف للفوضى و العشوائيّة.

و قد يؤكّد البعض وجود الحظّ و ذكره كما فهمه الـبعض و لا زال فـي القـرآن الكـريم فـي قولـه تعـالى : "و مـا يلقّاهـا إلاّ الـذين صبروا و ما يلقّاها إلاّ ذو حظّ عظيم" (الآية 35 سورة فصّلت)

غير أنّ المقصود غير الذي يعتقده خطـأً مـن لـم يفهـم التنـوّع الدّلالي لكلمة "حـظّ"، ومـا يقبـل هـذه الوصـية ويعمـل بهـا إلا مـن صبر على ذلك، فإنه يشـق علـى النفـوس، (ومـا يلقاهـا إلا ذو حـظ عظـيم) أي : ذو نصـيب وافـر مـن السـعادة فـي الـدنيا والأخـرى. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسير هـذه الآيـة : أمـر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفـو عنـد الإساءة، فـإذا فعلـوا ذلـك عصـمهم الله مـن الشـيطان، وخضـع لهـم عدوهم كأنه ولـي حميم"[1]، بمعنى أنّ الحظّ المقصود هنا فـي الآيـة الكريمة هو النّصيب، كقولنا : حظّك من الأرباح هو النّصف مـثلا، يعني نصيبك و نسبة أرباحك قد بلغت النّصف و ليس المقصود أبدا الحظّ الذي نعتقده مرادفا لوقـوع أمـر صـدفة دون سـبب، فـالحظّ و الصّدفة غير موجودان و لا يتوافقان مع المنطق السّليم للإنسـان، و بالعودة للآية الكريمة : لذو حظّ

تفسير ابن كثير،ص .480

عظيم، أي من يصبر و يفعل خيرا له نصيب – أي حظّ - وافر من توفيق الله، و هذا التّوفيق يغدق على الصّابر المجتهد الخير في الدّنيا و الآخرة، و إنّ الفوز بالجنّة هنا مرتبط بشرط أيضا، "فإذا فعلوا ذلك" أي فقط إذا صبروا و احتسبوا و اجتهدوا يكن لهم النّصيب الأوفى.

كان لابدّ من تبيين هذا الأمر الذي لربّما التبس على بعض العقول، فلا علاقة للحظّ الذي نعتقده سببا في النّجاح أو الفشل، و إنّما كما أوردنا آنفا، الطّريقة هي التي تقودنا و تسير بنا في أحد السّبيلين، و كلّما بقينا في تلك الطّريق و لم نغيّر اقتربنا أكثر من المآل الذي ينتظرنا بشكل منطقيّ غير اعتباطيّ، سواء بالنّجاح أو الفشل، فـ " إنّ مستقبلك ممتدّ أمامك، مثل طريق يقود إلى أرض واسعة، و على طول هذا الطّريق ستجد أنّ لديك طموحات تتمنّى أن تحقّقها، و رغبات تودّ أن تُشبعها" [1]، و لا يكون ذلك حتما بالحظّ هذا.

أغنى رجل في بابل، ص

هذا و قد أنهينا من هذا الجزء الأوّل المتعلّق بأهمّ الأفكار المغلوطة في بعض المواضيع المتعلّقة بالإنسان، محيطه، علاقاته، حاضره و مستقبله، و ننتقل إلى الجزء الثّاني و الذي اخترنا فيه أهمّ المشاعر التي و بحسبنا أخطأنا في تقديرها و فهمها من وجهة نظر أخرى مغايرة لما ورثناه و ألفناه.

مشاعر صدّقناها دون فهمها

نعم، هي مشاعر نحسّ بها دون معرفة حقيقتها الفعليّة، نشعر بأحاسيس ربّما ليست ما هي عليه فعلا، أو أنّنا مثّلناها أو مارسناها ممارسة العادة و التّقليد، إلاّ أنّ كنهها أكبر و أوسع، و ربّما مختلف تماما عمّا لمسناه منها و تعلّمناه، أو أنّنا أخفقنا في استغلالها في المواقف التي وجب ظهورها فيه فكان شعورا خلاف آخر في مقامه فالتبسا و فقد أحدهما أو كلاهما قيمته و فعاليته فـ "من الممكن أن يخطئ المرء شعوره و يؤمن بصدق أنّه يشعر بشيئ لا يشعر به في الواقع حقّا، أم أنّ الشّعور دائما هو ما يفصح بحقيقة التّجربة، حتّى و إن تمّ ربطه خطأً بالموقف؟ فإذا كنت أشعر بالغضب أو بالخوف بوصفه استجابة هذائيّة لما يحدث حولي فبذلك يكون من المعقول أن أقول إنّ هذا هو الشّعور الذي يتملّكني و لكنّه غير منسجم مع الواقع (شعور حقيقيّ و لكنّه خاطئ)، و لكن هل يمكنني التّصديق بأنّي سعيد عندما أكون في الواقع حزينا؟" (1)

المشاعر، ص15-16.

السّعادة و الحزن

من النّاحية الانفعالية، السّعادة هي الشّعور باعتدال المزاج، و منالنّاحية المعرفيّة التأمّليّة، السّعادة هي الشّعور بالرّضا و الإشباع و طمأنينة النّفس و تحقيق الذّات و الشّعور بالبهجة و اللذّة و الاستمتاع، إذن فهناك عامل مشترك بين النّاحيتين و هو الشّعور بالرّضا الشّامل، و الذي من الممكن تقسيمه إلى الرّضا عن جوانب معيّنة مثل العمل، الزّواج، الصحّة، القدرات الذّاتية و تحقيق الذّات، و الملاحظة المهمّة هنا هي أنّ السّعادة ليست نقيضة للتّعاسة، بل هما بعدان مستقلّان عن بعضهما استقلالا تامّا – المقصود أنّهما متمايزان غير أنّهما مترافقان متماشيان مع بعض بشكل متوازٍ، و هذا ما سنتطرّق إليه بعد قليل- و إن كان المرء لا يمكن أن يشعر بالسّعادة و التّعاسة في آن واحد، و تأكّد أيضا أنّ الأفراد الذين يشعرون بشدّة السّعادة هم أنفسهم الذين يعيشون التّعاسة

بشدّة أيضا"، هكذا كما عرّفها مايكل أرجايل .

مطلب كلّ إنسان، و رغبة كلّ حالم، السّعادة، هي ذاك الشّعور بالرّاحة و الاطمئنان، بالرّضا عن النّتيجة التي آل إليها

عمل أو جهد، فرحة بمكسب معيّن، بنجاح أو تفوّق، روْح ينعش النّفس يجدّد عهدها بالحياة، دافعيّة أخرى للعمل و الاستمرار، هذه السّعادة التي نراها كذلك ليست كاملة مستمرّة، فلو كانت تامّة كاملة لوصل إليها من سبقونا بعد بحثهم الحثيث عنها لقرون، و اكتفوْا بها بعد إيجادها، فلم يقتفوا أثرها في الزّمان و المكان و قد ملكوها، أو عن السّعادة في مكان أو مجال أو مع إنسان آخر بعد حيازتها، حتّى و إن افترضنا أنّ الإنسان لم يستطع الوصول للسّعادة الكبرى و الأبديّة لقرون و أجيال، و أنّها كانت موجودة كاملة، فمن المحال أن يحوز عليها تماما لأّن سنّة الحياة بذاتها و الحكمة منها أن لا يأخذ الإنسان من كلّ إحساس و شعور كلّه، فإذا حدث ذلك فعلا اكتفى منه و توقّف عنه و لم يبحث عن المزيد منه، و ربّما لم يبادله آخر إذا حازه، سواء وجده في إنجاز أو نشاط أو استمدّه من الغير، فكلّما امتلك الإنسان إحساسا – كما اعتقد - استخلصه لنفسه بدافع الأنانيّة مرّة، أو أضاعه و بذّره لسوء تقدير قيمته و أهميّته، أو حتّى تركه لعدم جدواه–

سيكولوجية السّعادة، ص.2

بحسب ما رآه خطأً - دون استغلاله و التمتّع بـه، لكـن لوكـان غير كامل، - و هو كذلك – يبقى الشّوق للأخذ منه قائما مـع مـرور الزّمن، فهو يعتقد دوما أنّ هناك فرصا أخرى تمكّنـه مـن الفـوز بـه فيسـتمرّ و يبقـى يحـاول، و المحـاولات تلـك تزيـد و تتنـوّع منّـي و منك، من هذا و ذاك، لتتـداخل و تتقـاطع بـين بنـي البشـر كـلّ تلـك النّوايا الصّادقة غير الكاذبة – في إطار العلاقات الاجتماعيـة بيـنهم -، ليجد أحدنا سـعادته مـع شـخص آخـر إذا صـدقه، أو فـي وظيفـة معيّنة إذا مارسها بضمير، أو بإنجاز أتمّه بدقّة و تفان، أو بسفر قام به رغبة في التّرويح عـن الـنّفس و الاكتشـاف، سـيجد السّـعادة فـي عبادة قـدّمها لخالقـه أيضـا، لتـتم و تصـير أبديّـة برؤيـة وجـه الله و بعدها دخوله الجنّة، بل حتّى و لو لم تكن السّعادة فـي عقـول النّـاس كاملة، فإنّه يبقى الواحد فينا باحثًـا عنهـا مجتهـدا لكسـب أكبـر قـدر منها، هي رحلة مستمرّة لا تنتهـي فـي دنيانـا هاتـه، و مـع السّـعادة المرغوبة يأتي الحزن ليذكّرنا بأنّ الأولى ليست كاملة فعلا، و غير ثابتة على نسق، فتتخلّل أيّام الفرحة ساعات كئيبة، أيّام عصيبة،

مليئـة بالمكـاره و النّـوازل، تمـتحن الـنّفس فـي صـبرها و جلدها، تجعلها تقدّر فعـلا لحظـات السّـعادة الفائتـة، و هـذه حكمـة أخرى، غير أنّ الحـزن كمـا السّـعادة غيـر ثابـت، و غيـر مسـتمرّ،

فيتقلّب الإنسان بين الأولى و الثّاني، بين الفخر بالنّفس و الزّهو بها حين الفرح و العودة إلى جادّة الصّواب إذا زادت عن حدّها و نسيت النّفس نفسها بتذكير الحزن لها أنّ السّعادة إن لم تحافظ عليها، و لم تجتهد في البحث عنها لتحصيلها و لم تجاهد نفسها لتبقى معها لتغمرها و عائلتها و كلّ من تحبّ لهم الخير فإنّها ذاهبة، و أصلا هي غير مستمرّة، ليكن الإنسان مستعدّا للمكاره التي تصيبه و لو أراد تجنّبها، فهناك حتميّات أقوى من الإنسان تجبره على تذوّق مرار النّوازل كما "الموت" على سبيل الذّكر لا الحصر، فـ " لا تظنّ أنّ الإغراق في المباحات و اللّذات يزيد من شعورك بالسّعادة، إنّ للّذات حدّا إذا زاد المرء فيها عنه توقّف مؤشّر السّعادة عن الزّيادة، بل قد ينحدر لأنّ كثرة المساس تضعف الإحساس، فكن مع اللذّات كما قال الشّاعر

غِب و زر غبّا تزد حبّا فمن أكثر التّرداد زاده الملل[1]

أنواع الحزن و دروب السّعادة، ص63-64

هناك تداخل مستمرّ بين السّعادة و الحزن في هاته الحياة، يتبادلان الأدوار علينا في اختبار دائم لنا و لردود أفعالنا كبشر، و كمسلمين و هذا الذي يهمّنا على الصّعيد الأوّل، هما غير مستمرّان، غير ثابتان، يتّخذان صورا مختلفة، فنجد كليهما في أشخاص و حوادث، في أفكار، في مكتسبات و ممتلكات، في نشاط، و في مختلف الموجودات، غير أنّهما متلازمان تلازم الحياة و الموت – كما ذكرنا ذلك آنفا - حتّى ينقلب الحزن فرحا و الفرح حزنا في لحظات، فكم من فرح بات مأتما بعد وقوع حادث مرور أودى بحياة العروسين بعدما اطمأنّت الأنفس و حسبت أنّ القادم أجمل متناسين أنّ القدر يخفي ما لم نتوقّعه، و كم من جنازة نقلت ميّتا إلى مثواه الأخير في أجواء حزن سرعان ما زال، ففرح أهله واستبشروا خيرا لأنّه كان من أولياء الله الصّالحين، و أنّه سينال السّعادة الأبديّة هناك في الدّار الأخرى.

في رأينا، إذا فرحنا فعلينا أن نفرح دون أن نجهل و إذا حزنّا دون أن نهلك، فإذا دخل الجنون في كلا من السّعادة و الحزن أفسد حقيقتهما ونال من الإنسان أشدّ النّيل، إمّا بالفرح المميت للقلب الدّافع إلى اللاّمبالاة و الميوعة، و إمّا بالحزن المهلك لصحّة الإنسان النّفسيّة، العقليّة و البدنيّة .

نختم هذا الفصل بمقال جميل لمصطفى محمود، يقول " فالسّعادة لا يمكن أن تكون في المال أو القوّة أو السّلطة، بل هي في "ماذا نفعل بالمال و القوّة و السّلطة؟."

السّعادة ليست في البيت المفروش بالسّجاجيد العجمى و الشّينوا و الكريستال و لكن في النّفس التي تسكنه.

و "الخارج" لا يستطيع أن يقدّم لنا شيئا إذا كنّا نحن من "الدّاخل"، من نفوسنا، غير معدّين للانتفاع بهذه المنحة الخارجيّة السخيّة – يقصد السّعادة التي مصدرها من الخارج، أي من المجتمع و ليس من نفس الإنسان – و إذا لم نكن في صلح مع هذا الخارج و في تكيّف معه.

و في قصّة لتولستوي يقول الإقطاعيّ للفلاّح الطّامع في أرضه سوف أعطيك ما تشاء من أرضي، تريد عشرة فدادين، مائة فدّان، ألفا، لك ان تنطلق من الآن جريا في دائرة تعود بعدها إلى مكانك قبل أن تغرب الشّمس فتكون لك الدّائرة التي رسمتها بكلّ ما اشتملت عليه من أرض، شريطة أن تعود إلى نقطة البدء قبل غروب الشّمس، أمّا إذا غربت الشّمس و لم تعد فقد ضاعت عليك الصّفقة، و يفكّر الفلاّح الطمّاع في دائرة كبيرة تشمل كلّ أرض الإقطاعيّ، و هو مطمع يحتاج منه إلى همّة و سرعة قصوى في

الجـري حتّــى يحـيط بهـا كلّهـا فـي السّـاعات القليلـة الباقيـة علـى الغروب.

و يبدأ في الجري و كلّما تقدّم الوقت كلّمـا وسّـع مـن دائرتـه اغترارًا بقوّته و طمعا في المزيد، و تكون النّتيجة أن تتقطّع أنفاسـه و يسقط ميّتا قبل ثوان من بلوغ هدفه، ثمّ لا يحصل مـن الأرض إلاّ على متر في متر يُدفن فيه، و هذه هي حاجة الإنسـان الحقيقيّـة مـن الأرض، بضعة أشبار يرقد فيها، و هو ينسـى هـذه الحقيقـة فيعـيش عبدا لأهواء و أطماع و أوهام تضيّع عليه حياته.

و قـد فطـن تولسـتوي إلـى هـذه الحقيقـة فـوزّع أرضـه علـى الفلاّحين و هرب من بيته الأنيق الدّافئ و سكن في كـوخ حقيـر مـع الفقراء المعدمين.

و كذلك فعـل غانـدي الـذي عـاش علـى عنـزة يحلـب لبنهـا و يغزل صوفها.

و كذلك فعل المسيح الذي عـاش بـلا بيـت وبـلا زوجـة و بـلا ولد.

و هؤلاء هم السّعداء العظام الذين جاؤوا ليعلّموا النّـاس كيـف تكون السّعادة" [1]

و إنّ أفضل معلّم للسّعادة هو محمّد صلّى الله عليه و سلّم.

الرّوح و الجسد، ص21-22.

الغضب و السّكينة

من السّلوكات البغيضة "الغضب"، مصدر المشاكل، منبع العلل و الآفات، كونه ثورة عدم تقبّل عارمة يعجز الإنسان عن ضبطها، لتتفجّر بالاعتداء اللّفظيّ أو البدنيّ على الآخر، أو بالانتقام منه ردّا على إساءة مثلا، أو عدم تفاهم في أمر معيّن، أو عدم تقبّل قرار، يكون بدرجات حسب طبيعة الإنسان و شخصيّته، تربيته ومستواه التّعليميّ، و بقدر المؤثّر أيضا يكون التأثّر و ردّة الفعل تلك، غير أنّ الغضب في بعض الحالات يلزم، و تلك الثّورة تكون واجبة بطريقة أخرى غير التي نشاهدها في شوارعنا و أزقّتنا، و التي تودي بحياة النّاس إلى الموت في أحيان كثيرة، فلا ينفع النّدم بعدها و لا الحسرة، يقول جيل لندنفيلد "وأعتقد كغيري من الأخصّائيّين النّفسانيّين، أنّ القدرة على التّعبير عن الغضب بأسلوب محكم و صحيّ و حاسم إحدى العلامات المهمّة لصحّة عقليّة جيّدة، أمّا سوء إدارة الغضب فهو يؤدّي إلى مشكلات خطيرة في الصحّة العقليّة" (1)

كيف يكون هذا الغضب لازما و متى يكون واجبا؟

إدارة الغضب، ص . 34

أوّلا، علينا أن نرى الغضب على أنّه شعور موجود ثابت مكوّن للإنسان مع غيره من المشاعر و لا يتمّ رفضه بسبب النّتائج المتأتّية منه بسبب توظيفه بكيفيّة خاطئة مؤذية، فـ " الغضب مجرّد شعو، و المشاعر جزء من ذاتنا مثل رؤوسنا وقلوبنا و أيدينا، و جميع المشاعر لا بأس بها، و تعريف القاموس الذي أحبّه – الذي يحبّه الدّكتور وليام جراي ديفور - هو الغضب شعور يتولّد لدى الفرد بسبب شيئ يجرحه و يعارضه أو يضايقه، إذن ليس هناك أيّ شيئ سيّئ أو خبيث في مسألة الشّعور بالغضب" (2)

الغضب، ص.23

يكـون الغضـب واجبـا إذا اسـتلزم ثـورة نفـس علـى أمـر أو شـخص لا سـكوت لسـلوكه أو لا رضـى علـى أفعالـه، الغضـب ينحصر هنا في أفعـال الشّـخص و سـلوكاته التـي تنـتج المفاسـد، و ليس على الشّخص

بذاته، كونه روحـا و جسـدا، إنسـانا وجـب حفـظ حياتـه لأنّ الحيـاة مقدّسـة، محـرّم الاعتـداء عليهـا، و إن اسـتحقّت النّهـر أو العقاب فليس العبد مخوّلا بهاته المهمّة إلاّ من خلال أحكـام الـدّين و الأوامـر الربّانيـة التـي نظمّـت و تـنظّم حيـاة البشـر فـي الماضـي، الحاضـر و المسـتقبل، ليسـلنا التصـرّف فـي مصـائر النّـاس بحجّـة الثّورة على الفساد و المكاره، و إنّما الغضب المطلوب هو غضـب علـى ديـن الله فـلا نرضـى أن يمـسّ بسـوء أو تحريـف أو تأويـل مخالف للشّريعة السّمحة، الغضب من فعل الشّـر و الاعتـداء علـى الغيـر، الغضـب مـن الظّلـم و الاسـتبداد و اللاّعدالـة، الثّـورة علـى الفساد، الاعتداء

على الشّرف، الرّفض القاطع و المانع لكلّ ما يفسد السّـرائر و يحوّل الحقيقة كذبا، الغضب المقصود هو ما كان أكثـر مـن عـدم القبـول أو الاسـتنكار، الغضـب المطلـوب هـو الغضـب المـؤثّر المحوّل، الذي تظهـر دلائلـه مـن خـلال كـلام و حركـات صـاحبه،

النّاتجة كلّها من سريرة نقيّة سمحة، تدرك تماما الفرق بين الخير و الشرّ، و الذي تكون نتيجته تغيير ما كان مكروها مذموما بما هو مقبول مستحسن، بل أكثر من ذلك، تغيير و ضمان لعدم، العودة لنفس الفساد و ما كان قبلا من أمور منكرة، ذلك أنّ الغضب بالذّات يترك أثر رهبة في المخطئ الذي يواجه تلك الثّورة، فيخشى العودة إلى ما كان – إذا فكّر في العودة - حماية لنفسه من مواجهة أخرى قد تجعله يندم على فعلته إذا تجاوز حدوده، بل ستجعله يفكّر مرّتين قبل الإقبال على ما يريد من مفسدة، فيستكين بعد تقليب الأمر على جوانبه و يعتدل سلوكه سواء اقتناعا منه أنّ ما كان سيقبل عليه من فعل لا يليق فعلا، أو خوفا يرتجى بعده إعادة النّظر في كيفيّة التّعامل مع النّاس و استخدام الوسائل و الإمكانيّات لخير الجميع، و هذا الذي لا يتوفّر في مجرّد عدم القبول أو التّنديد بالأفعال، فهذا الأخير لا يمنع الفساد و ربّما يشجّعه إذا لم يكن هناك أثر يتركه في نفس المخطئ، و الأثر الذي تكلّمنا عنه يجلبه الغضب الإيجابي و عدم القبول المؤثّر القويّ الذي يهزّ النّفس الشّاذّة عن الطّريق القويم.

الغضب له أسباب، من المحال أن يكون وليد العدم، فلا شيئ دون سبب يقع، سواء أدركناه أم لم ندركه، و للغضب كما ذكرنا

مقامـات يكـون فيهـا فعّـالا بشـرط أن لا يحمـل معـه جنونـا يـودي بصاحبه، غير أنّ السّكينة و التي هـي اسـتقرار الـنّفس و هـدوءها، غلبــة العقـل علــى العاطفــة، التّعامــل بــالمنطق و الموجــود دون الخـروج عـن نطـاق المشـكلة المعالجـة، هاتـه السّـكينة لـن تصـلح لمعالجة كلّ مشكلة، فإن احتاجت بعض المعضلات لها لتحـلّ، فـإنّ بعض المصائب و الوقائع الكبرى توجب حضور الغضب المـدفوع بالغيرة علـى الـدّين و الأخـلاق و الشّـرف و العـرض و المشـحون برغبة تحقيق الحقّ و العدالـة لكـي تحـلّ، المشـاكل العاديّـة تلزمهـا سكينة و وقـار لتحـلّ بـالحوار و تبـادل الآراء للوصـول إلـى اتّفـاق يكون الكـلّ متّفقـا عليـه، و المشـاكل الكبـرى التـي لا يرضـى فيهـا الطّرف المعتدي و المخطئ أن يحتكم بالحسنى بالحكم الرّشيد، مع التّمادي في اقتراف الأغلاط و نشر المفاسد عمدا، فهـذا تلزمـه ردّة فعل غاضبة عادلة، ترجعه بقوّة إلى الحقّ، و تعلمـه - بـنفس الشـدّة التّي واجه بها الحقيقـة - بأنّـه كـان علـى خطـأ و وجـب أن يعـود و يتخلّى عن الباطل الذي كان فيه.

نرى أنّ السّكينة في حياة الإنسـان واجبـة عمومـا، فـلا يمكـن بنــاء صــرح حضــاريّ دون نفس هادئــة عاقلــة متوازنــة، غيـر أنّ التّمادي فيها و تبنّيها في المواقـف التـي وجـب فيهـا الحـزم أوّلا ثـمّ

إدخـال الرّهبـة فـي المخطـئ المتعمّـد حتّـى لا يعـود إلـى المكـاره بالغضب المدافع على القضايا العادلة، نراه جبنـا و خـذلانا، وإنّمـا لكلّ مقام مقال، و لكلّ فعل ردّة الفعل المناسبة له.

الخوف و الاطمئنان

و غالبا ما نظنّ أنّ الخوف، هذا الشّعور الذي لا يتمنّى أحد تجربته، هو منبوذ مكروه، لأنّه كاشف ضعف الإنسان أمام ما يخشاه و يتجنّبه، فلا يحتمل أن تهتزّ نفسه و ترعب ثمّ يجرّ بعدها تلك الآثار السيّئة لهذا الخوف معه، ربّما لازمته الصّدمة النّفسيّة حتّى الكبر، و ربّما بات معروفا عند الخاصّ و العام بخوفه، و هذا ما يؤثّر سلبا على حياته و سمعته عموما.

هذا إذا رأينا فقط وجهه هذا، فهو يمتلك وجها آخر مغاير لما ذكرناه، و بأيّ وجه أخذناه كان لنا منه نصيب، مخطئون نحن في حكمنا العام على الخوف بمثل ما أسبقنا الذّكر، هو ليس كما عرف عند الكثيرين من أنّه الصّدمة و الارتعاب، للخوف وجه آخر، الوجه الذي لم نعره انتباهنا بالرّعاية و الدّراسة.

بعيدا عن فقدان ميزان العقل و التروّي و ما أشيع عن هذه الأسطورة التي غلبت التّأني والتّفكير الجديّ في أمره، و بعيدا عن كلّ الافتراءات الجارية على ألسن غير عالمة، لا يزال الخوف من المجهول دافع الإنسان إلى الابتكار و التطوّر، الدّاعي إلى كسر قيود الجهل و السعي للتحرّر منه، المنادي للثورة ضد الانقياد

الظّالم الغاشم، الحاثّ على التمرّد على اليأس و الاستكانة و الاستعباد، الخوف من المستقبل و ما بجعبته ملأ "عقل الحاضر" بأفكار و إبداعات ولّدت العجب، الخوف من المرض دفعنا إلى التفكير في المداواة، و قبله في البحث و الاكتشاف عن العلّة ماذا تكون؟ و لماذا كانت؟ و كيف بعد كشف السرّ لا تكون، بل و فتح أبواب المعرفة لاكتشاف أساليب للتطبيب حديثة لِعِلَلٍ أخرى كثيرة، و فيها كانت البحوث حثيثة مستفيضة.

الخوف من الحرب دفع العقل للاهتمام بتحصين النفس و الحفاظ عليها، فكان ما كان من روائع الابتكارات العلمية التكنولوجية و التقنية، بل الخوف من الانجراف نحو المجهول دفع الإنسان إلى الحوار و بني جنسه حتى لا تزورنا أحزان الماضي، فصرنا نفهم معنى السّلام بعد تجرّعنا لأنواع المآسي و الآلام، لأننا ذقنا أهوال الحرب المريرة و أشبعنا منها أنفسنا المسكينة، نخاف من أن تعود لنا منتقمة، نخاف من استيقاظ الموت، من غلبة الجوع، من رعب الفقر و الحاجة

نخاف من الهزيمة، من الخسارة، فصرنا إلى النجاح أقرب، كيف؟ بالتفكير فيما يناسب من سبل و طرائق توصل شغفنا فيما نريد إلى الهدف المنشود، فعملت عقولنا على التفكير في علوم و

معارف تجعل حياتنا في اليد أسهل، ليس لأن الطبيعة البشرية تتطوّر حتمًا، بل لأن الخوف من البقاء في الماضي و التخلّف فيه مع تعاقب الزمن يدفعني و يدفعك لأن نبدع في الحاض، و بعد حين نكون متحضّرين لما هو آت.

الخوف يدفعنا إلى التساؤل و التفكير، إلى التعمّق في كلّ أمر. الخوف يدفعنا إلى البحث عن الحقيقة بين هلوسات و أكاذيب الواقع،

الخوف يدفعنا لأن نتطوّر .

الخوف يدفعنا لأن تُبدع .

الخوف يدفعنا لأن تتحرّر من قيود ماضينا

الخوف ينهانا عن الاستسلام للتقاليد البالية، القديمة السّارية فينا، يفتح أعيننا على ما صار حتمية باتت المفتعلة، يجعلنا فطنين حذرين .

الخوف من الموت يعلّمنا معنى الحياة

ينبّهنا الخوف إلى أن سيف موت ''داموكلس'' على رؤوسنا دوما و في كلّ حين، فلا تضيّع وقتنا فيما لا ينفع، لا نترك حياتنا تهبّ بها رياح العبث و اللّهو، لا تتبع أهواء من يريدون استغلالنا فنكون لهم و لا نكون لأنفسنا، نذهب أنفسنا بذهاب وقتنا.

الخوف من الله يدفعنا إلى حبّه، إلى اجتناب نهيه و اتباع أمره، الخوف حاجز يحول و وقوعنا في الرّذائل، الخوف جُنّة.

ذاك الوجه الآخر له.

الخوف ليس هروبا و إنكارا، و ليس ردّة فعل مُستهجنة، ليس مدعاة للسخرية، ليس كلّ ذلك دائما الخوف إحساس بالواقع كما هو، إدراك له، انغماس فيه، ممارسة له، يجعلنا نحيا بأرواحنا و حواسنا، الخوف يجعلنا "أناسا"، علينا نحن أن نتأقلم و نجد فيه ما يجعلنا تتجاوز هفواتنا و عثراتنا، فيه نعرّي على زلّاتنا لنغطيها فيما بعد بثوب الصواب و الحكمة، فأي جانب أخذناه من الخوف، كان لنا منه نصيب في الحقيقة.

ما خالف الخوف بمفهوم وجهه الأوّل، الوجه غير المرغوب و المرهوب، هو الاطمئنان والأمان، نعلم جيّدا أنّ ما يبتغيه الكلّ

هـو العـيش فـي هاتـه الـدّنيا بسـلام دون أن يتعـرّض الواحـد فينـا لاعتداء جسديّ أو معنويّ، أن يُحترم لشخصه و يبتعد عن المشاكل قدر المستطاع، أن يستمرّ في الإجتهاد و التّأثير إيجابيًّا فـي نفسـه و غيره بما ينجز و يُبدع، و هذا لا يمكن إلاّ غذا عاش آمنـا فـي نفسـه و ممتلكاته، مطمئنّا على روحه و أرواح أفراد عائلته على الأقلّ، الأمان شرط أساسيّ في الحياة و الاستمرار فيهـا للبنـاء و التّعميـر، هو من مقوّمات بناء الحضارة الإنسانيّة.

غير أنّ الاطمئنان الزّائد في كلّ أمر و مسألة يُغـرق صـاحبه في الاستسلام لكلّ ما يسمع و يقرأ، في كلّ ما يُملى عليه، المقصود من الاطمئنـان هـذا هـو الإذعـان لكـلّ رأي و أمـر، و تصـديق كـلّ حكي و سرد، و محو أيّ أثر للشكّ الذي يدفع إلى التّساؤل و من ثـمّ إلـى معرفـة الحقيقـة أو كيفيّـة الوصـول إليهـا، إنّـه الوجـه الثّـاني للاطمئنان، الاطمئنان الذي يضعنا في منطقة الرّاحة و يحـرص أن لا نخرج منها لكيّ لا نشكّ و نبحث، لكي لا نتحمّـل الجهـد لمعرفـة ماذا يحصل لو لم نصدّق ما قيل لنا و شرعنا في الانتقاء و التّحليـل و الدّراسة و الأخذ و الرّد، بالتّأكيـد سـنجد أنفسـنا و قـد تـمّ إيهامهـا بغير ما هو حقيقيّ، تمّ التّلبيس و التّعميـة علـى أسـرار ربّمـا بغايـة الأهميّـة كـان علينـا معرفتهـا، إنّ الشـكّ و السّـؤال سـلاح الكـيّس

الفطن، و تصديق الآخر دون بحث و تفكير قد يودي باتّباع الخطأ و ممارسته هذا عن هذا، العقل لا يجب أن يبقى راكنا إذا تعلّق الأمر بمجال يمكن أن يفكّر فيه بحريّة ضمن نطاق لا يمسّ الشّرع و القيم الأخلاقيّة المتعارف عليها في تلك الأمّة، بل بات الشكّ مطلوبا لمعرفة الطّريق المؤدّي إلى الحقيقة بعد التأكّد من أنّ الاطمئنان لرأي الأوّل أو قراره أو أمره لا ينفع و لا يفيد و ربّما يضرّ و يُهلك.

لو اطمأنّ العلماء في مختلف الميادين و المجالات العلميّة و الأدبيّة بما أتى به الأوّلون و استمرّوا عليه لكنّا اليوم نستعمل ما استعملوا و نذهب مذاهبهم التي لاءمت ذاك الزّمن و بقينا عليها و لم نتطوّر، الشكّ في تلك المُخرجات أدّى إلى تقويم و تحسين النّتائج العلميّة و منه تطوير الحياة و تسهيلها، كذلك ما نعيشه حاليّا، ستكون هناك مُخرجات كثيرة تنتجها العلوم و المعارف تكون محطّ شكّ اليوم و غدا، ليأتي جيل آخر يصلح و يقوّم، ثمّ يزيد عليها لأنّها لن تكون ملائمة له في زمن غير زمننا و مكان ربّما غير الذي وُجدت فيه.

ما وددنا الخروج به ممّا قلناه هو وجوب التّفريق بين الخوف السّلبيّ الذي يمنعنا عن تجاوز عقبات الحياة و الخوف الدّافع إلى

التطوّر وعدم الجمع بينهما أو جعل الخوف فقط بوجهه السّلبيّ هو الغالب، و كذلك التّمييز بين الاطمئنان الذي يوفّر لنا حياة السّلام و الأمان – و هذا المطلوب - و ذاك الاطمئنان لكلّ شيئ و التّصديق بكلّ أمر – كأن يصير العبد إمّعة- و الذي ينحو بنا نحو عدم التّفكير والجمود و الاتّكال و الكسل و عدم الإنتاج و الإبداع، فيربطنا بالماضي و يجعلنا فقط حبيسي ما قُدّم، دون الحاجة للمزيد، و الأمر الأخطر أنّ هناك من يمزج بين الوجهين و يجعل الاطمئنان لكلّ شيئ و أمر هو السّلام و الأمان من كلّ شرّ، و الحقيقة أنّ الشرّ كلّه في اتّباع كلّ ما يلقى في الأنفس و العقول دون غربلة و تمحيص .

الحبّ و الكره

بحسب ما نراه، الحبّ و الكره كما هما متضادّان في دلالتهما، يجب أن يتلازما في الوجود لأنّنا نحن البشر عموما يجب أن نحبّ كما يجب أن نكره.

يا ترى كيف ذلك؟

أوّلا نتحدّث عن الحبّ، هذا الشّعور المظلوم، شعور مسكين أخذ معظم النّاس حقّه، ذلك أنّ معظمنا حصره في مجرّد علاقة حبّ غالبا ما كانت عابرة بين شابّ و فتاة، البعض بنى أحلامه الصّبيانيّة حول هاته القصّة و غيرها ثمّ يصدّق أنّ الحبّ هو تبادل للمشاعر و الأحاسيس بمثل هاته الأساليب التي تروّج لها السّينما بأفلامها البعيدة عن الواقعيّة، و الواقع بريء من هذا الخيال الذي جانب الحقيقة، نظرتنا للحبّ انحصرت فيما سبق، غير أنّه أوسع و أعمق، و الاهتمام بات متعلّقا بما يحصل بين الرّجل و المرأة، و فقط، للأسف ليس هذا هو الحبّ في نظرنا.

الحبّ أوّلا هو حبّ الله الذي خلق النّفس هاته و جعلها تحبّ، حبّ من أكرمنا بنعمة الحياة و ما فيها من خيرات، حبّ من حبّبنا في الجنّة و جعلنا لنا مقاما، و جبّ من حذّرنا من النّار و جعل لنا

سبيل الحقّ لتفاديها، حبّ الرّسول الكريم محمّد صلّى الله عليه و سلّم، حبّ من أتى بالرّسالة الربّانيّة و دعانا للفوز بخير الدّنيا و الآخرة على الطّريقة الصّحيحة، حبّ إخوانه الأنبياء و الرّسل، حبّ الملائكة التي تدعو لنا و تحمينا بإذن ربّها، حبّ هذا الدّين و الذّود عنه، حبّ القرآن و إسكانه في القلب، حبّ الصّحابة و التّابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، الاطمئنان قلبا و روحا بهذا الشّعور يمنحنا الرّضا، الارتياح و الاكتفاء بما حزناه.

ثمّ الحبّ يكون لهاته للنّفس، تقديرها كما كانت، و محاولة تطويرها و تحسينها كما يمكن أن تكون، هو إعطاء قيمة لنفس قاومت و جاهدت و لا زالت حاضرة متى استدعت الحاجة لها في كلّ كبيرة و صغيرة، إنّ هاته النّفس التي تستدعيها متى احتجتها، وتعتمد عليها متى واجهتك المصاعب و المشاكل، أولى أن تحبّ هاته النّفس و تعطيها كلّ الاهتمام و الرّعاية قبل أن تعطيها الآخرين، ليست أنانيّة، و ليست كرها للآخرين على حساب النّفس ذاتها، بل تقديما على غيرها لأنّ كلّ نفس هي مصدر الأقوال و الأفعال، و كلّ واحد يجب أن يعتني بهاته النّفس التي يصدر منها كلّ سلوك، فكلّ واحدة هي منبع صاحبها و هي أصل كلّ ما ينتج عنه، فإن كان الحبّ هو أساس معاملتنا إيّاها فإنّها بدورها تنتج

الحبّ و الإخاء و الغفران و غيرها من القيم و المبادئ الأخلاقيّة التي لا تعرف غيرها لأنّها لم تتلقّى سواها.

ثمّ متى وجدت هاته النّفس من يبادلها الاهتمام و التفهّم، من يقاسمها الهموم و الأحزان، الأفراح و الإنجازات - ليس بالضّرورة حبّ الرّجل للمرأة - كحبّ الوالدين، الإخوة، الرّفاق و الأصدقاء ... بعدها إذا مالت إلى توأمها، و هو ذاك الشّخص الذي لا يستطيع أيّ آخر ملأ فراغه، النّصف الآخر من الجنس الثّاني، شعرت بالاطمئنان له و بالحاجة إلى البقاء معه، ذاك من لان له القلب ليْنا فريدا و أراد مقاسمته الحياة بودّ و احترام، هذا الميل الخاصّ و الانجذاب الطبيعيّ يتحوّل بعد الزّواج و ليس قبله إلى حبّ، لأنّ الحبّ أكبر من أن يلخّص في فترة زمنيّة قصيرة من التّعارف و تبادل الغزل الكاذب بالرّسائل و التّلميحات، الحبّ الزّوجيّ هو حياة تملؤها التّحديات، فيه الحزن و الفرح، النّجاح و الخسارة، الغضب و الاستكانة، فيه معرفة الآخر بشكل عميق و صادق، إنّما المشاركة بأتمّ معنى الكلمة، التّعاون، التّآلف، الأخذ و العطاء بمعناه العامّ.

أضف إلى ذلك حبّ العمل و التّفاني فيه، حبّ الطّبيعة، حبّ الوطن، حبّ الإنسانيّة و كلّ حبّ لائق مرغوب لا يخالف الشّرع و القيم و العادات المتعارف عليها أنّها موافقة لطبيعة الإنسان، غير أنّ هذا الحب لا يجب أن يكون عامّا واسعا دون ضبط و توجيه، ليتدخلّ الكره كشعور لازم و واجب للحدّ من قبول كل ما يصادف الإنسان في حياته.

الكره كشعور هو رفض الشّخص أو الشيء أو السّلوك المقابل، حالة نفسيّة تعبّر عن عدم الرّضا و عدم القبول، هذا الشّعور الذي لا يستسيغه النّاس و يرجون زواله رغم وجوده، هو في الحقيقة ضرورة وجب حضورها في مقامات معيّنة، كيف و متى؟

الكره، الرّفض و عدم القبول، عدم الرّضا الذي نريده هو المتعلّق بكلّ ما يهدم الدّين و القيم الأخلاقيّة و المجتمعيّة، كلّ ما يضرّ الإنسان و يودي به إلى التّهلكة، الكره الذي نريده حاضرا و كائنا هو كره الظّلم و العدوان، كره الاستغلال، كره الحقد و الغلّ و كلّ ما يؤذينا نحن و يؤذي غيرنا، كلّ ما يصيب من حولنا و ما حولنا بالسّوء، هذا الكره لكلّ ما سبق يضمن عدم قبول كلّ تلك المساوئ و المظالم، يجعلها العدوّ الأشدّ مقتا، ففي الكره قوّة دفع

طاردة تبعد ما لم تستسغه النّفس و لم تقبله، هذا الشّعور وجب حضوره في هذا المقام و حسب و ليس في غيره، لأنّه يميّز و يفصل بامتياز بين الخير و الشّر، بين ما يجب استمراره و ما لزم الابتعاد عنه و في بعض الحالات محاربته، و عليه فإنّ الحبّ و الكره شعوران يتبادلان الأدوار بتغيّر المواقف و المقامات، على الإنسان فقط أن يحبّ بالفعل كلّ ما استحقّ الحبّ و يكره ما وجب فيه الكره، أمّا الكلام عن نسيان الكره أو تناسيه، محوه من تشكيلة المشاعر المكوّنة للإنسان ككائن حيّ يؤثّر و يتأثّر فهذا بالتأكيد مستحيل، بل إنّ الإنسان كتشكيلة مشاعر لا يمكن أن يستغني عنه و عن غيره من المشاعر مهما وُظّفت بشكل سلبيّ، على الأقلّ تعرف المشاعر بأضدادها، فكيف نُدرك الحب إنّ لم نشعر بالكره؟ و متى نلمس خطورته أو جدواه إن لم نحسّ به و نذق نتائج ممارسته؟ هذا الذي نراه واقعيّا و منطقيّا أيضا.

هذه هي المشاعر إذن، جزء لا يتجزّأ من طبيعة الإنسان و أساس مهمّ من أسس كينونته و وجوده، لا يمكن تجاهله مهما فعلنا " إنّ أيّ نظرة للطّبيعة الإنسانيّة تتجاهل قوّة تأثير العواطف هي نظرة ضيّقة الأفق بشكل مؤسف، و الواقع أنّ اسم الجنس البشريّ ذاته أي الجنس المفكّر يعدّ تعبيرا خادعا في ضوء الرّؤية و الفهم

الجديدين لموقع العواطف في حياتنا و اللّذين يطرحهما العلم الآن، و كما علّمتنا خبرات الحياة، فإنّ مشاعرنا غالبا ما تؤثّر في كلّ صغيرة و كبيرة في حياتنا بأكثر ممّا يؤثّر تفكيرنا عندما يتعلّق الأمر بتشكيل مصائرنا و أفعالنا – ليس بشكل مطلق و إنّما في بعض الحالات يكون تأثير المشاعر كبيرا إلى حدّ كبير – غالينا كثيرا في التّأكيد على قيمة و أهميّة العقلانيّة البحتة التي يقيسها معامل الذّكاء "آي كيو" في حياة الإنسان، و سواء كان هذا المقياس إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، فلن يحقّق الذّكاء شيئا لوكُبح جماح العواطف" [1].

الذّكاء العاطفيّ، ص18-19.

أفكار و مشاعر

على عكس ما قد يفهمه البعض، الأفكار ليست في صراع مع المشاعر، بل يتكاملان ليصنعا الإنسان هذا الذي يفكّر بالضّرورة و يحسّ أيضا بالضّرورة، من دون فكر لا يستطيع أن يحسّن وضعه وحياته، لا يمكن أن يتجاوز عقبات الزّمن، و لا أن يحلّ المشاكل التي تواجهه، لا وجود لازدهار و تطوّر دون فكر، و لا تفاهم و لا اتّفاق دون مشاركة لتلك الأفكار و الالتزام بأحسنها و أفضلها لخير الجميع، إن العقل المفكّر مكسب عظيم ما لم يستعمله صاحبه في غير ما وُجد له في الأساس، هو نعمة وهبنا الله إيّاها في سبيل معرفة الحقيقة التي لا جدال فيها، حقيقة أنّه مهما بلغ هذا العبد من علم و معرفة، ثقافة و حضارة، من غير الممكن أن يتفوّق على خالقه و موهب هاته المعجزة الحيّة، الله العالم بأسراره و مكنوناته – نقصد العقل، و مع هذا العقل ألهمنا القدرة على الإحساس، على التّفاعل، على الشّعور بما نحسّ و ما يحسّه الآخرون، فهذا العالم الذي نعيشه ليس أفكارا و حسب، ليس عمليّات حسابيّة و إنجازات إبداعيّة فقط، ليس ماديّات، ليس تكنولوجيا و علم فضاء و تجارب و وسائل متطوّرة، إنّه علاقات

إنسانيّة، إنّه الصّدق و الحبّ و الإباء و التّسامح، كما هو كذب و كره و حقد و غيرة، كلّ هذا جزء من هذا العالم نعم، وجد منذ الأزل و سيكون الآن و غدا بأشكال و صور مختلفة، اليوم سيصير بإمكاننا التّمييز بين ما هو إيجابيّ و سلبيّ بوضوح و دقّة ما إذا وسّعنا مداركنا و تقبّلنا فكرة أنّه يمكن لكلّ فكرة من الأفكار أو شعور من المشاعر أن تحمل أو يحمل أكثر من حالة و دلالة، و كلّ وجه من أوجه التّفكير أو المشاعر يصلح لمقام يلائمه هو وحده، فالحكم على الأفكار من زاوية واحدة وحتّى على المشاعر التي تبدو لنا ذات صورة ثابتة منتهية مضبوطة و معروفة، هذا الحكم يبقى ناقصا يستوجب تدقيقا و مزيدا من البحث و التعمّق، فلربّما لم نفكّر مليّا و بشكل كاف و لم نشعر كما ينبغي لنا أن نشعر في موقف من المواقف أو في مقام من المقامات، لنقول في أنفسنا حينها ربّما لن يكن عليّ ان أقول كذا و أفعل كذا، و ربّما نلوم أنفسنا على فهم شعور ما بعكس ما يوحي إليه لقصور إدراكنا العقليّ مرّة و العاطفيّ مرّة أخرى، و خصوصا عدم أناتنا في الحكم على الأفكار و المشاعر في ذاك السّياق، لهذا فترك المجال لحسن التّعقيب على فكرة أو شعور هو الأسلم في نظرنا، و عدم التسرّع في حجز الفكرة و تصنيفها و تعليب الشّعور و تصديره

هكذا بشكل آليّ جافّ محدّد المعالم بالنّسبة لكلّ البشر دون تمييز قبل التأكّد منه تمام التأكّد.، "إنّنا لسنا المشاعر التي تعترينا، و لسنا الحالات المزاجيّة التي تنتابنا، و لسنا الأفكار التي تعتمل داخل عقولنا – يعني لسنا كلّ هاته العناصر منفصلة عن بعضها البعض – فإنّ الحقيقة الثّابتة أنّنا نستطيع التّفكير في تلك الأشياء – المقصود المشاعر – و هو ما يميّزنا عن عالم الحيوانات، إذن الوعي الذّاتيّ يمكّننا من الانفصال عن أنفسنا – ليس انفصالا كليّا و إنّما بغرض الدّراسة الموضوعيّة للمشاعر تلك – و تفحّص الطّريقة التي نرى بها أنفسنا – تصوّرنا الذّاتيّ لأنفسنا – و الذي يعدّ التصوّر الذّهني الأساسيّ للفعاليّة، و هو لا يؤثّر على توجّهاتنا و سلوكيّاتنا فحسب، بل يؤثّر على الطّريقة التي نرى بها النّاس، لذا فهو خريطتنا لمعرفة أسس طبيعة البشر " [1]

العادات السّبع للنّاس الأكثر فعاليّة، ص8

خاتمة

و في الأخير نرجو أن نكون قد قدّما ما يمكن اعتباره إضافة مفيدة نافعة لكلّ مُريد، و وجهة نظر أخرى ربّما تقودنا إلى الحقيقة أو تقرّبنا منها، فما وددنا نقله كرسالة لكلّ إنسان عاقل مفكّر، هو أنّ الأفكار و المشاعر ليست معادلات رياضيّة، و ليست مكشوفة منذ الأزل، بل تبقى الأفكار ناقصة غير كاملة من حيث كمالها أو تمام صحّتها ليأتي من بعدنا ليكملوا أو يضيفوا ما لم نستطعه نحن، فيكتشفوا ما كان غامضا بالنّسبة لنا، أو يلقوا الضّوء على ظلّ أخفى عنّا وجها من أوجهها، و لربّما هاته المشاعر التي تكلّمنا فيها و غيرها، كون أنّنا أخذنا فقط نموذجا منها، يمكن أن تخفي أوجها أخرى، لم ندركها بعد اليوم، لربّما مستقبلا بعد أن يسلّط عليها الاهتمام و تدرس بعمق و دقّة كما أسلفنا الذّكر.

لا كمال في هذا العالم، لا شيئ تامّ و نهائيّ في ذاته، لربّما ما حسبناه من أفكار و مشاعر صحيحا بات خطأً اليوم، و ربّما سيعاد فيه النّظر لأنّ الأفكار تتجدّد و المعرفة بالمشاعر تزيد و تتّسع، و

ما كان خطأً صار صحيحًا، و احتمال أنّه سيعاد تصحيحه فيضاف عليه أو يُقوّم، المهمّ انّنا لا نحسم أمورنا في فهم الأفكار و المشاعر من أوّل مواجهة، و لا ننهي النّقاش فيها رغبة في الهرب نحو الأمام دون تقليبها على جوانبها بالفهم العميق الدّقيق لماهيتها و أهدافها، و إن كان هناك نقص أو خطأ في تقديرها لغموض فيها أو صعوبة، فالزّمن كفيل بكشف ما تخفيه لأنّ سيرورة العلم و الفكر و البحث لن تتوقّف ما دامت الشّعوب و الأطياف تختلف في ممارسة أفكارها و مشاعرها، و لا بدّ و أنّها ستهتمّ بهاته الاختلافات و التنوّعات إثر تواصلها و حين تبادلها الخبرات و المعارف، لتكتشف المزيد عنها في المستقبل القريب و البعيد، و بالتأكيد أفكار أخرى جديدة من عقول حذقة دقيقة تكون منبعها، و لم لا مشاعر مرتبطة بكينونات أو موجودات حاليّة أو أخرى لم تظهر بعد لم يحسّ بها الإنسان الحالي.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم بالرّسم العثمانيّ، بروايـة ورش لقـراءة الإمـام نـافع من طريق أبي يعقـوب الأزرق، تمّـت مراجعتـه علـى أمّهـات كتب القراءات و الرّسم و الضّبط و الفواصـل و الوقـف و التّفسـير تحت إشراف إدارة البحوث و التّـأليف و التّرجمـة بمجمـع البحـوث الإسـلاميّة بـالأزهر الشّـريف بمعرفـة لجنـة مراجعـة المصـاحف، القدس للنّشر و التّوزيع، القاهرة، 1437هـ/2016م ،.

قائمة المراجع

المراجع العربيّة

- الاستشراق و الخلفيّة الفكريّة للصّراع الحضاري، الدّكتور محمود حمدي زقزوق، دار المنار للطّباعة و النّشر و التّوزيع، الطّبعة الثّانية، القاهرة – مصر – 1989م.
- الثّقافة العربيّة المعاصرة في معارك التّعريب و الشّعوبيّة، أنور الجنديّ، موسوعة الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرّسالة، 1961م.
- إشكاليّات الفكر العربيّ المعاصر، الدّكتور محمّد عابد الجابريّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الطّبعة 2، بيروت – لبنان – 1990م.
- أزمة العلم المعاصر، الدّكتور ناصر محي الدّين ملوحي، دار الغسق للنّشر، الطّبعة الأولى، 2020م.
- أنواع الحزن و دروب السّعادة، الدّكتور محمّد الصغير، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الطّبعة الأولى، 2000م.
- الإسلام عقيدة و شريعة، الإمام محمّد شلتوت، دار الشّروق، الطّبعة الثّامنة عشرة، مصر، 2001م.

- الحياة و الموت، محمّد متولّي الشّعراوي.
- الـرّوح و الجسـد، مصـطفى محمـود، دار المعـارف، الطّبعـة السّابعة،1989م.
- الحريّـة فـي الإسـلام، الـدّكتور علـي عبـد الواحـد وافـي، دار المعارف، مصر، 1968م.

المراجع المترجمة

بلغات أجنبيّة (مؤلّفين عرب)

- وجهة العالم الإسلاميّ - مشكلات الحضارة – مالك بن نبيّ، ترجمة عبد الصّبور شاهين، دار
- الفكر للطّباعة و التّوزيع و النّشر، الطّبعة الخامسة، دمشق، 1986م.

الأجنبيّة

- إدارة الغضب، أبسط الخطوات للتّعامل مع الإحباط و التّهديد، جيل لندنفيلد، مكتبة جرير، الطّبعة الرّابعة، 2008م.
- الغضب، تعامل معه، استشفّ منه، لا تدعه يقتلك، الدّكتور ويليام جراي ديفور، مكتبة جرير، الطّبعة الأولى 2006م.
- أغنى رجل في بابل، جون كلاسون، مكتبة جرير.
- الذّكاء العاطفيّ، دانيال جولمان، ترجمة ليلى الجبالي، مراجعة محمّد يونس،عالم المعرفة، أكتوبر 2000م.
- العادات السّبع للنّاس الأكثر فعاليّة، ستيفن آركوفي، مكتبة جرير، الطّبعة 21، الرّياض – المملكة العربيّة السّعوديّة – 2009م.

- سيكولوجية السّعادة، مايكل أرجايل، مكتبة الكتاب العربيّ.
- عن الحريّة، جون ستيوارت ميل، ترجمة الـدّكتور هيـثم كامـل الزّبيدي.
- المشاعر، ستيفن فروش، ترجمة عبد الله عسكر، الهيئة العامّـة لشؤون المطابع الأميريّة و المركز القومي للتّرجمة، 2015م .

المراجع الإلكترونيّة

- .تفسير ابن كثير، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود

الفهرس

مقدّمة..... - 5 -

أفكار بمثابة حتميّات عقليّة ..... - 9 -

الحياة و الموت، متضادّان فعلا؟ ..... - 10 -

الدّنيا لمن لم يؤمنوا بالله، و الآخرة للمؤمنين؟ ..... - 16 -

علاقة الدّين و الأخلاق بالحضارة، التقدّم و التمدّن ..... - 22 -

الحريّة ..... - 35 -

العمل، نشاط إنسانيّ و ليس حتميّة زمانيّة-مكانيّة..... - 40 -

النّجاح و الفشل ..... - 46 -

مشاعر صدّقناها دون فهمها ..... - 54 -

السّعادة و الحزن ..... - 55 -

الغضب و السّكينة..... - 63 -

الخوف و الاطمئنان ..... - 69 -

الحبّ و الكره..... - 76 -

أفكار و مشاعر..... - 82 -

خاتمة..... - 85 -

قائمة المصادر و المراجع..... - 87 -

قائمة المراجع..... - 88 -

المراجع المترجمة..... - 91 -

السّيرة الذّاتية

الإسم: عبد الحكيم.
اللّقب: أوكفيل.

تاريخ و مكان الازدياد: 18 فيفري 1986 بالقبّة الجزائر العاصمة.

العمر: 35 سنة.

العنوان الحاليّ: 04، شارع رابح جبالي، بلوزداد، الجزائر العاصمة.

الحالة العائليّة: متزوّج.

الجنسيّة: جزائريّة.

المستوى العلمي:

سنة أولى ماجستير تخصّص علوم اللّسان والدّراسات اللّغويّة.

شهادة اللّيسانس في اللّغة العربيّة وآدابها، تخصّص علوم اللّسان.

المهنة: أستاذ لغة عربيّة.

الخبرة المهنيّة: 11 سنة (في التّعليم).

مهارات أخرى:

التحكّم التّام في اللّغتين العربيّة والفرنسيّة.

القدرة على الترجمة الكتابية من وإلى اللّغة العربيّة والفرنسيّة.

إتقان الكتابة باللّغتين العربيّة والفرنسيّة في الوورد.

مهارات تواصليّة عالية.

قدرة وكفاءة في الإلقاء والتّحاور.

رقم الهاتف الشّخصي: 0552721499/ 0558399697.

رابط صفحة الفايسبوك الخاصّة بنا (صفحة أوكفيل عبد الحكيم):

https://web.facebook.com/shinzo.kazuya

رابط صفحة الفايسبوك الخاصّة بأعمالنا الأدبيّة (صفحة"ألوان أدبيّة"أوكفيل عبدالحكيم):

https://web.facebook.com/-%D8%A3%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%8A%D9%85-%D8%A3%D9%88%D9%83%D9%81%D9%8A%D9%84-1557464454341486/?modal=admin_todo_tour